

أحمد تيمور باشا

أبو العلاء المعري





أبو العلاء المعربي

الكتاب : أبو العلاء المعري

الكاتب : أحمد تيمور باشا

الطبعة : ٢٠١٥

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

ه ش عبد المنعم سالم - الوحدة العربية - مذكور - الهرم -

الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٦٧٥٧٥ - ٣٥٨٢٥٢٩٣

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

<http://www.apatop.com>

E-mail: news@apatop.com



All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة : لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خططي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء التنشر

باشا ، تيمور ، أحمد

أبو العلاء المعري - أحمد تيمور باشا - الجيزة - وكالة الصحافة العربية ،

٢٠١٥

ص ، ١٨ سم .

نتمك : ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٤٤٦ - ١٨٧ - ٥

رقم الإيداع / ٨٣٤٩

أ. العنوان

أبو العلاء المعربي

أحمد تيمور باشا

تقديم: علي عبد الفتاح



شاعر متفرد بحزنه.. مختال بعاهته

ال الحديث عن أبو العلاء المعري محنة للقارئ.. والكاتب.. فالقارئ دائمًا ينزع إلى قراءة ما يبعث اللذة الذهنية وما ينال من كآبة الوقت.. وحياة المعري أجمل نماذج للحزن.. وأروع محن قد تصادف الإنسان.. وبالتالي فالكاتب يواجه شخصية عميقة الفكر ذات دلالات فنية متعددة فكيف يكشف المأساة ويرسم المحنّة؟

ومن هنا كان ضرورة قراءة أبو العلاء المعري مرة أخرى.. من هو هذا الشاعر المتفرد بحزنه.. المختال بعاهته.. القانع بعاداته الغربية وأفكاره المتمردة؟ أبو العلاء المعري هو أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاوي التنوخي المعري (363 هـ - 449 هـ)، (973 - 1057 م).

شاعر وفيلسوف وأديب عربي من العصر العباسي عاش وحيداً. منكسر الروح... وفي أعماقه دمعة... ورحل وحيداً.. وفي أعماقه حسرة وأوصى أن يكتب على قبره:

هذا ما جناه أبي علي وما جنيت على أحد
واجتمع على قبره ثمانون شاعراً، وختموا - في أسبوع واحد - مائتي ختمة،
وقرئ على قبره سبعون مرثية وقال قبيل وفاته: "الآن علت السن،

ضعف الجسم، وتقرب الخطوط، وسأء الخلق، وعطلت رحى كانت لي لم تكن
تجمعجع ، ولكن تهمس، كنت أقصر طحنها على نفسي وأنقذني به دون غيري؟!"

عقبريّة أبو العلاء المعري تكمن في فلسفته.. فهو فيلسوف عصره، وشاعر
زمانه، الأعمى الذي أبصر مالا يراه المبصرون وتعامى عن الموبقات والفساد الذي
انقاد إليه سائر الناس ويقول عن محنته:

قالوا العمى منظر قبيح قلت بفة دمي لكم يهـون
والله ما في الأنعام شيء تأسى على فقدـه العيون

ومن طرائف أبي العلاء أنه لما فرغ من تصنيف كتابه اللامع العزيزي في شرح
ديوان المتنبي، وقرئ عليه، أخذ الجماعة في وصفه، فقال: كأنما نظر المتنبي إلى
بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
الرقيق، والفيلسوف حكيم "معرة النعمان" يقاوم محنته المرتبطة بالبصر ومحنة
عصره التي انغمس فيها الناس في الشهوات والإقبال على المحرمات والتهاون
ومعاقرة الخمر؟

وتصل المحنـة إلى مأسـاة بشـعة خلال العـصر العـبـاسي حين يـنـصرف
رجال الدين عن دورـهم الحـقـيقـي ويـهـتمـون بـالـمـارـاكـز وجـمـعـ المـالـ، ويـتـمـيزـون
بـالـجـشـعـ والـخـيـانـةـ والأـنـانـيـةـ فـكـانـ لـابـدـ لـهـذـاـ اللـغـوـيـ.. الشـاعـرـ.. الفـقـيـهـ.. أـنـ
يعـتـزـلـ هـذـاـ العـالـمـ الفـاسـدـ ويـقاـومـ معـانـاتـهـ الذـاتـيـةـ وـمـاـ يـسـودـ عـصـرـهـ مـنـ سـقوـطـ.

فأقبل على العلوم والمعارف يشق طريقه بروح قد رقرقها القرآن الكريم الذي حفظه منذ طفولته.. ورحل بين المدن يلتقي بالعلماء والأدباء، ويقرأ كتب التراث، ويطلع على آداب الشعوب وحضارات الأمم، فكانت رحلاته وأسفاره بين طرابلس بالشام وبغداد والمدن الأخرى.. هروباً من الفتن والقلائل التي سادت عصره.. وسقوط القيم الروحية واتجاه الأنظمة الحاكمة إلى دعم ذاتها ومحاربة أعدائها دفاعاً عن القصور والعروش والأمجاد الزائفة والثروات والأموال.

فلم تكن هناك سوى الخيانات والمؤامرات وسفك الدماء من أجل إعلاء سلطة الحاكم وسيطرته على البلاد. فكيف ينجو الفيلسوف الشاعر من هذا الواقع المأزوم؟ وروحه منكسرة، وفي قلبه دمعة جامدة. وعندما عاد من رحلاته قرر أن يتخذ موقفاً من العالم حوله، وعبر عن هذا الموقف بالعزلة في بيته، واتخذه سجناً وسمى نفسه "رهن المحبسين"، وذلك للزومة بيته وكف بصره.

وقد أضاف سجناً آخر، وهو روحه السجينية في الجسد ويقول:

أراني في ثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لقد ناضري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث
واضطربت حياة المعري، وأصبحت ذاته وحياته صوراً أخرى لما يحدث
في البلاد، فقد واجه الناس بالعزلة فحقدوا عليه، وأعلن عن فلسفة قوامها
الزهد، وتحريريم بعض ما حلله الله مثل أكل الحيوان، وعاش على

العدس والزيت والتين، وبذلك سخر منه كل من يعرفه، وتهكموا على أحواله
وظروفه وهاجموه وابتعدوا عنه.

ثم اتخذ من الثياب أخشنها وأقساها، ومن الفراش أغلظه وأجفاه، وعاش
حالي تسعاً وأربعين سنة في بيته بمعرة النعمان، لا يغادره إطلاقاً. وغلب على
شعره التشاوؤم والنفور من النساء، والابتعاد عن الآخرين، كأنه يرافق الجن حيم
ال حقيقي له.

لم ينسق لظواهر الحياة أو الإغراءات المادية والمليحة التي يسعى إليها
المرء، حاول أن يتجاوز ذاته وزمانه ويعلو بنفسه إلى مستوى روحي يصل إلى حد
التعبد والإيمان المطلق بأنه أرقى من هؤلاء جميعاً.

ورغم ذلك لم يسلم من ادعاءات هؤلاء الذين يهاجمونه فقد رموه
بالكفر ونسبوا إليه أشعاراً لم يتفوه بها أبداً وظلت نفسه تتوق إلى معاشرة
الحقيقة المطلقة، والانطلاق في رحاب فضاء روحي لا يصل إليه زمانه.. ومن
أجمل قصائده التي تعبّر عن موقفه هذا يقول:

عفاف وإقدام وحزم ونائل
ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل
يصدق واس أو يخيّب سائل
أعندِي وقد مارست كل خفية
وأقل صدودي أنتي لك مبغض
إذا هبت النباء بيني وبينهم
تعد ذنوبي عند قوم كثيرة
وقد صار ذكري في البلاد فمن
يهم الليل بعض ما أنا مضمّر
وإن كنت الأخير زمانه

ويظل أبو العلاء صورة لجسارة الذات والمحنة التي تلهم الإنسان القوة والشجاعة والالتزام بمبادئه وقيمه التي أعتنقتها.

ولابد أن نذكر أن أبو العلاء من بيت علم وقضاء ورياسة وثراء توالت عليه جماعة من أهله قضاء المعرة وغيرها ونبغ منهم قبله وبعده كثيرون راسوا وساسوا، وكان فيهم العالم والكاتب والشاعر. ولأهل المعرة اعتقاد كبير فيهم، ولوأذم، وفزع إليهم في أمورهم. وذكروا أن كمال الدين بن العديم عقد فصلاً لتراثهم وأخبارهم في كتابه "دفع التحري عن أبي العلاء المعربي".

أعماله

- ديوان سقط الزند.
- كتاب لزوم مالا يلزم أو اللزوميات.
- رسالة الغفران ويحكي فيه زيارة الشاعر للجنة ورؤيته لشعراء الجاهلية العرب هناك وأكثر ما يثير الاهتمام في رسالة الغفران هو عبقرية المعربي في الاستطراد، والفلسفة العميقية، والبلاغة المذهلة.
- كتاب "فقرات وفترات" أو "فصول وغيات"، وهو عبارة عن مجموعة من الموعظ. وهو من أكثر كتبه إثارة للجدل لما ورد فيه من قصائد تناقض أساليب الحياة وتتحدث عن الموت.
- الأيك والغضون في الأدب مائة جزء.
- تاج الحرمة في النساء وأخلاقهن وعظاتهن. وهو أربع مائة كراس.
- رسالة الملائكة.
- رسالة الهناء.

- رسالة الفصول والغايات.
 - معجزة أحمد (أحمد بن الحسين المتنبي).
 - شرح اللزوميات.
 - شرح ديوان الحماسة.
 - ضوء السقط. ويعرف بالدرعيات.
- ويعتبر المعربي من الحكماء والنقاد. ويقول:

لهم نُسْكٌ وليس لهم رباء
تقيم لها الدليل ولا ضياء
كأنهم لقَومُ أَنْبِيَاءٍ
وأَمَا الْأُولَوْنَ فَأَغْبَيَاءٍ
فَأَعْيَارُ الْمَذَلَّةِ أَتَقِيَاءٍ
تجاهلت حتى قيل إني جاحدٌ
وواً أَسْفَا كُم يُظْهِرُ النَّقْصَ فَاضِلٌ

وقد فتشت عن أصحاب دين
فألفيت البهائم لا عقول
وإخوان الفطانة في اختيال
فأما هؤلاء فأهل مكر
فإن كان الثقى بآها وعيها
ومما رأيت الجهل في الناس فاشيا
فوا عجباً كم يدعى الفضل ناقص

ومن قصائده التي تعبّر عن فلسنته في الموت يقول:

نوح باك ولا ترنم شاد
بصوت البشير في كل نادٍ
على فرع غصنها الملياد
فأين القبور من عهد عاد
سرور في سعادة الملياد
إلا من هذه الأجساد
ضاحك من تزاحم الأضداد

غير مجد في ملتي واعتقادي
وشبيه صوت النعي إذا قيس
أبكـت تلـكمـ الحـمامـةـ أمـ غـنتـ
صـاحـ هـذـىـ قـبـورـنـاـ تـمـلـأـ الرـحـبـ
إـنـ حـزـنـاـ فـسـاعـةـ المـوـتـ أـضـعـافـ
خـفـفـ الوـطـءـ ماـ أـظـنـ أـدـيمـ الـأـرـضـ
ربـ لـحـدـ قدـ صـارـ لـحـدـاـ مـرـارـاـ

ودفين على بقایا دفین في
تعب كلها الحياة فما أعجب
سر إن استطعت في الهواء رويدا
قيح بنا وإن قدم العهد

علي عبد الفتاح

أبو العلاء المعري

نسبة

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المظهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أصحم بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطfan بن عمرو بن بريع بن خزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعري. هكذا ساق نسبه ابن خلkan، وهو أصح ما وجده بالمعارضة على ما في كتب الأنساب؛ فإن فيما ذكره ياقوت في "إرشاد الأريب" إسقاطاً لبعض الأسماء.

واضطربنا في ترتيب بعضها، فاعتمدنا على روایة ابن خلkan بعد تصحيح ما حرف منها، فإن "خزيمة بن تيم الله" جاء في النسخة المطبوعة ببولاق "جذيمة" بالجيم والذال المعجمة، وما نص عليه في كتب اللغة والأنساب "خزيمة" بالخاء والزاي مصغراً. و"تيم الله بن أسد" هكذا في

جميع ما وقفنا عليه من الكتب، وجاء به أبو العلاء في سقط الزند: "تيم اللات"
في قوله:

سأله قبل يوم السير مبعثهُ إليك ديوان تيم اللات ما ليتا

وقد يكون هذا تحريفاً في النسخة، إلا أن منْ خَبَرَ شعرَ أبي العلاء ومذهبَه في
تكلفه الصناعة والتجنيس، رجح أنه ما أتى بقوله، "ما ليت" أي ما نقص، بعد
قوله "اللات"، إلا إرادهً للتجنيس، والله أعلم. وقد يذهب الظن إلى أن "تيم
اللات" هذا ربما كان غير "تيم الله" المذكور مقدماً، وهو مردود بما ذكره الشارح
في سياق نسبة عند شرح البيت.

على أن فيما ذكره ابن خلkan ما لا يискن عنه أيضاً، وما نقلناه عنه هو
ما وجدناه في النسخة المطبوعة ببلاط، والنسخة المطبوعة بباريس. ونقل ابن
الوردي في تاريخه عبارة ابن خلkan، فأسقط أحمد بن سليمان من سلسلة
النسب، ويوافقه ما في "الكوكب الثاقب" لعبد القادر بن عبد الرحمن السّلّوي،
إلا أنه أسقط محمد بن سليمان بدل أحمد.

وعلى كل حال، فالظاهر أن ما ورد في ابن خلkan فيه زيادة اسمين ربما
سبق بهما قلم الناسخ.

وَجَدُّهُ الْأَعْلَى قُضَايَةُ بْنُ مَالِكٍ أَبُو حَيٍّ مِنَ الْيَمَنِ، يَنْتَهِي نَسْبُهُ
إِلَى قَحْطَانٍ؛ هَذَا هُوَ الْمُشْهُورُ. وَزَعْمُ نُسَابٍ مُضَرَّ أَنَّهُ قُضَايَةُ بْنُ مَعْدَّ
بْنُ عَدْنَانٍ، وَأَنَّ مَالِكًا زَوْجُ أُمِّهِ، وَالنَّسْبُ إِلَى زَوْجِ الْأُمِّ عَادَةٌ مَعْرُوفَةٌ عِنْدَ
الْعَرَبِ، وَلِعُلَمَاءِ الْأَنْسَابِ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ كَثِيرٌ. وَلِهَذَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ

البصري النسّابة لما سئل: أَنْزَارٌ أَكْثَرُ أَمِ الْيَمَنْ؟ فَقَالَ: إِنْ تَعْدُدْ قُضَايَةً فَنَزَارٌ أَكْثَرُ، وَإِنْ تَيْمَنْ فَالْيَمَنْ. وَعَلَى القَوْلِ الْأَوَّلِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ:

قُضَايَةُ بْنِ مَالِكٍ بْنِ حَمِيرِ النَّسَبِ الْمُعْرُوفِ غَيْرُ الْمُنْكَرِ

وَعَلَى القَوْلِ الثَّانِي قَوْلُ الْكَمِيْتِ الْأَسَدِيِّ يَخاطِبُ قُضَايَةً:

كَحَالِيَّةُ تَزَيْنُ بِالْعَطُولِ
وَبِالْأَحْمَالِ تَبْدِأُ وَالْحَلِيلِ
كَفَدْحُ خَرُّ بَيْنِ يَدِيْ مَجِيلِ
بِأَقْرَبِ جَابَةِ لَكَ مِنْ هَدِيلِ

فَإِنَّكَ وَالْتَّحَوْلُ عَنْ مَعْدِ
تَغْسِيظِ بِالْعَطُولِ جَارِتِهِمَا
فَمَهْلِيَا قُضَايَةُ لَا تَكُونِي
وَمَا مِنْ تَهْتَفِينَ بِهِ لِنَصْرِ

وَسُمِيَّ قُضَايَةُ لَا نَقْضَايَةُ عَنْ قَوْمِهِ مَعَ أَمَّهُ، أَيْ انْقِطَاعُهُ عَنْهُمْ، أَوْ مِنْ قَصْعَهُ، أَيْ
قَهْرِهِ.

وَقِيلَ: بَلْ هُوَ اسْمٌ مَنْقُولٌ، وَأَصْلُ الْقُضَايَةِ الْفَهْدِ. وَالْتَّنْوُخِي
نَسْبَةً إِلَى تَنْوُخٍ، كَصْبُورٍ. وَتَشْدِيدُ النُّونِ خَطَأً؛ وَهُمْ قَبْيلَةٌ مِنْ الْيَمَنِ مِنْ قُضَايَةِ
سُمُّوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا وَتَحَالَّفُوا، وَتَنَخَّوْا بِمَكَانٍ فِي الشَّامِ، أَيْ أَقَامُوا فِيهِ. وَمِنْ
النَّاسِ مِنْ يَطْلُقُ تَنْوُخَ عَلَى الصَّجَاعِيْمَةِ وَدَوْسَ الَّذِينَ تَنَخَّوْا بِالْبَحْرَيْنِ، وَالْخَلَافَ
فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ أَيْضًا. وَنَقْلُ عَنْ أَبِي عُبَيْدَ أَنَّهُمْ تَنَخَّوْا عَلَى مَالِكِ بْنِ
زَهْيِرِ بْنِ عُمَرٍو بْنِ فَهْمٍ بْنِ تَيْمٍ اللَّهِ بْنِ أَسَدٍ، وَعَلَى مَالِكِ بْنِ فَهْمٍ عَمِ مَالِكِ
بْنِ زَهْيِرٍ. وَذَكَرَ الْحَمْدَانِيُّ أَنَّ الْمَعَرَّةَ مِنْ بَلَادِ الشَّامِ هِيَ صَلِيبَةٌ تَنْوُخٌ، بِمَعْنَى
أَنَّ بَهَا جَمِيعَهُمُ الْمُسْتَكْتَرِ. وَفِي "إِرشَادِ الْأَرِيبِ" لِيَاقُوتَ أَنَّ تَيْمَ اللَّهِ
بْنَ أَسَدَ هُوَ مجَمِعٌ تَنْوُخٌ مِنْ أَهْلِ مَعَرَّةِ النَّعْمَانِ. وَقَالَ أَبُو يَعْقُوبُ
النَّحْوِيُّ فِي شَرْحِ "سَقْطِ الزَّنْدِ" أَنَّ تَيْمَ اللَّهِ هُوَ مجَمِعٌ تَنْوُخٌ فِي النَّسَبِ، وَلَمْ

يخص أهل المعرة. ويوافقه ما ذكره ياقوت في معجم البلدان، إلا أن أبي يعقوب سماه تَيْم اللات وإليه أشار أبو العلاء في، "وَاصِل، وَاصِل": كما قدمنا. وكان شعار تنوخ في حروبهم لزومياته بقوله:

فِرَّ مِنْ هَذِهِ الْبَرِّيَّةِ فِي الْأَرْضِ
فِي شِعْارِيْ قَاطِعٌ وَكَانَ شِعَارًا لِتَنْوُخِ سَالِفِ الدَّهْرِ وَاصِلْ

والشعار: العلامة في الحرب. وفي الحديث أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الغزو: "يَا مَنْصُورُ أَمِّتْ أَمِّتْ". وهو تفاؤل بالنصر بعد الإمامة. واستشعر القوم، إذا تَدَاعَوا بالشَّعَارِ في الحرب.

والمَعْرِي نسبيًّا إلى معرة النعمان، وهي بلدة بالشام من أعمال حمص بين حلب وحمادة، وليس منسوبة للنعمان بن المنذر كما توهّم بعضهم، بل نسبت - فيما ذكروا - للنعمان بن بشير الأنباري؛ لأن ولدًا له مات وهو مجتاز بها، فدفنه فيها وأقام أيامًا حزيناً، فنسبت إليه لذلك. قال ياقوت في معجم البلدان: وهذا في رأيي سبب ضعيف لا تسمى به مثله مدينة، والذي أظنه أنها مسماة بالنعمان الملقب بالساطع. قلت: وهو النعمان بن عدي، أحد أجداد المعربي المذكورين في نسبة. والذي ذكره ياقوت مقبول؛ فإن تسمية بلدة باسم أحد قطانها المشهورين فيها أقرب من تسميتها بأحد المجتازين بها.

وذهب الشريishi في شرح المقامات إلى أنها أضيفت لجبل مُطلٌ عليها اسمه النعمان، ولم يذكر ياقوت هذا الجبل. ومن شعر أبي العلاء فيمن عَيَّه باسم بلده:

يعيننا لفظ المعمرة أنها
من العرق قوم في العلا غرباء
وهل لحق التثريب سكان يثرب
من الناس لا بل في الرجال غباء
فما فيه إلا معاشر نجباء
وذو نجف إن كان ما قيل صادقا
أي إن كان اسم البلد له تأثير على ساكنيه، على ما زعم هؤلاء الزاعمون، فيلزم
منه أن التثريب لاحق لسكان يثرب، وهي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.
ويلزم منه أيضاً أن يكون سكان ذي نجف كلهم نجباء، مع أن فيهم النجيب وغير
النجيب كسائر سكان البلاد.

ومن شعره في اسمه:

فعلت سوى ما أستحق به الذما وأحمد سلماني كبيري وقلما
وقال أيضًا:
من الأمر ما سميتنى أبداً باسمى رويدك لو كشفت ما أنا مضمر
وقلبي أولى بالطهارة من جسمى أظهر جسمى شاتياً ومقيضا
وقال في كنيته:

عْرَفْتُكِ جِيدًا يَا أَمَّ دَفْرِ
وَمَا إِنْ زَلْتَ ظَالِمًا فَرْزُولِ
دُعِيْتُ أَبَا الْعَلَاءَ وَذَاكَ مَئِنْ
ولكن الصحيح أبو النزول

يقول ذلك جريأًا على عادته في الخمول والتواضع. وقد خلط بعض العصريين بين
أبي العلاء المعربي وأبي العلاء صاعد اللغوي؛ لاتفاقهما في الكلمة، واشتهر كليهما
باللغة، فنسب للisbury كتاباً اسمه الفصوص في قصة ساقها، وإنما هو لصاعد،
وسيأتي تفصيل ذلك في فصل مؤلفاته.

كان أبو العلاء من بيت علم وقضاء، ورياسة وثراء. تولى جماعة من أهله قضاء المعرفة وغيرها، وبنجع منهم قبله وبعده كثيرون راسوا وساسوا، وكان فيهم العالم والكاتب والشاعر. ولأهل المعرفة اعتقاد كبير فيهم، ولو اؤذ بهم، وفزع إليهم في أمورهم. وذكروا أن كمال الدين بن العديم عقد فصلاً لترجمتهم وأخبارهم في كتابه "دفع التحري عن أبي العلاء المعري" إلا أنه لم يُظفر بهذا الكتاب مع كثرة بحثي وتنقيبي عنه.

فاعتمدت في أكثر ما ذكره هنا على ما في "إرشاد الأريب" لياقوت، و"الكوكب الثاقب" لعبد القادر بن عبد الرحمن السّلّوي، وتركت كثيراً منهم لعدم تحقيقي من صحة أنسابهم وألقابهم، بسبب تحريف النسخ. فمنهم "جده الأدنى سليمان بن محمد أو أحمد" الشهير بقاضي المعرفة، وولي أيضاً القضاء بحمص، وبها مات سنة ٢٩٠ هـ، وكان أبوه شاعراً.

"عمه أبو بكر محمد بن سليمان" ولي القضاء بعد أبيه، وفيه يقول

الصَّنْوَبَرِيُّ:

بـأـيـ يـاـ اـبـنـ سـلـيمـاـ
 وـهـمـ الـسـادـةـ شـبـاـ
 أـدـرـكـ الـبـغـيـةـ مـنـ أـضـ
 وأـرـدـاـ عـنـ دـكـ نـيـلاـ
 وأـجـداـ مـنـكـ مـتـىـ اـسـتـصـ
 في زـمـانـ غـارـدـ الـهـماـ
 نـلـقـ دـسـدـتـ تـوـخـاـ
 نـالـعـمـريـ وـشـيـوخـاـ
 حـنـىـ بـنـادـيـكـ مـنـيـخـاـ
 وـفـراتـ اـوـبـلـيـخـاـ
 رـخـ لـمـجـ دـصـرـيـخـاـ
 تـ فـيـ النـاسـ مـسـوـخـاـ

"أبوه عبد الله بن سليمان" ولـي القضاء بعد أخيه محمد بن سليمان، وتوفي بحمص
 سنة ٣٧٧ هـ، ومن شعره في رثاء والده:

بـيـابـ حـمـصـ فـمـاـ حـزـنـيـ بـطـرـحـ لـمـاتـ أـكـثـرـ أـعـدـائـيـ مـنـ فـرـحـ	إـنـ كـانـ أـصـبـحـ مـنـ أـهـواـهـ مـطـرـحاـ لـوـ بـانـ أـيـسـرـ مـاـ أـخـفـيـهـ مـنـ جـزـعـ
---	---

ورثي أبو العلاء والده بقصيدة نونية أولها:

فـمـاـ جـادـنـيـ إـلـاـ عـبـوسـ مـنـ الدـجـنـ

وـسـنـورـدـ مـخـتـارـهـ عـنـ الـكـلـامـ عـلـىـ مـنـظـومـهـ.

"أـخـوـهـ أـبـوـ الـمـجـدـ مـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ سـلـيمـانـ"ـ،ـ كـانـ أـسـنـ مـنـ أـبـيـ الـعلاـءـ،ـ
 وـمـنـ شـعـرـهـ فـيـ الزـهـدـ:

لـاـ نـيـتـيـ أـجـرـ وـلـاـ عـمـلـيـ عـنـ بـغـيـتـيـ حـتـىـ اـنـتـهـىـ أـجـلـيـ كـمـ قـدـ سـتـرـتـ عـلـىـ مـنـ زـلـلـ	كـرـمـ الـمـهـيـمـ مـنـتـهـىـ أـمـلـيـ يـاـ مـفـضـلـاـ جـلـتـ فـوـاضـلـهـ كـمـ قـدـ أـفـضـتـ عـلـىـ مـنـ نـعـمـ
---	---

(1) النيل بمصر، والفرات بالعراق، وبليخ - بفتح فكسر - نهر الرقة.

إن لم يكن لي ما ألوذ به يوم الحساب فإن عفوك لي
”أخوه أبو الهيثم عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان“، كان شاعرًا كأبيه وأخويه
أبي المجد وأبي العلاء، ومن شعره:

ضنت عشية يبنتا بدموعها
نار الغرام تشب في ينبوعها

قالوا نراه سلا لأن جفونه
ومن العجائب أن تفيض مدامع

وله في الشمعة:

وأدمع كدموعي في تحدرها
كأن ناظرها في قلب مسهرها

وذات لون كلوني في تغيره
سهرت ليلي وباتت لي مسهرة

قلت: ومهما قيل في الشمعة، فليس لقصيدة القاضي ناصح الدين الأرجاني ضريب
في هذا الباب، فقد بدأ بها من تقدمه وأعيا من بعده؛ إذ يقول:

وأطلعت قلبه للناس من فيها
في الحي يجني عليها ضرب هاديه
أنفاسها بدوام من تلظيهما
عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
نسيم ريح إذا وافي يحييها
في وجه دهماء يزهاتها تجليها
فكثما حجبت قامت تحاكيها
إذا تفكرت يوما في معانيها
والقاممة الغصن إلا في تثنيةها
سود ذوابتها بيض لياليها

نم بأسرار ليل كاد يخفيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها
غريقة في دموع وهي تحرقها
تنفست نفس المهجورة ادكرت
يخشى عليها الردي مهما ألم بها
كأنها غرة قد سال شارخها
أو ضرة خلقت للشمس حاسدة
لها غرائب تبدو من محاسنها
فالوجنة الورد إلا في تناولها
سفر غلائهما حمر عمائمها

تحيي الليالي نورا وهي تقتلها بئس الجزاء لعمر الله تجزيها
ولولا خوف الإطالة لدَكْرِتها بِتَمامِها لغُرابةِها.
وأَتَى بَعْدَ أَبِي العَلَاءِ جَمَاعَةً ذَكَرَ مِنْهُمْ يَا قَوْتَ ثَمَانِيَّةَ أَسْمَاءً، وَأَضْرَبَ عَنْ
ذِكْرِ غَيْرِهِمْ اختصاراً، وَغَالِبُهُمْ تُولِّوا الْقَضَاءَ بِالْمُعْرَةِ، وَكَفَرَ طَابُ، وَحَمَّةُ. وَمِنْهُمْ
مِنْ تُولِّ دِيْوَانَ الإِنْشَاءِ.
وَإِنَّمَا تَرَكْتُ ذَكْرَهُمْ مَا قَدَّمْتُ مِنْ تَحْرِيفِ أَسْمَائِهِمْ فِي النَّسْخَةِ.

مولده ووفاته وحليته

وُلد يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣. وعمي بالجدرى أول سنة ٣٦٧. غشى يمنى عينيه بياض، وذهبت اليسرى جملة. وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر؛ لأنهم ألسوني حين جدرت ثواباً معصراً، لا أعقل غير ذلك. وقال في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة "وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الإبصار كليل، قُضيَ علىَ وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل^(١) فلا وجه إدّاً ملن والرُّبع^(٢).

زعم أنه ولد أكمه. وحكي السلفي عن أبي محمد الإيادي أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره، فرأه قاعداً على سجادة لبده وهو شيخ. قال: فدعاني ومسح على رأسي، وكنت صبياً، وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداهما بارزة والأخرى غائرة جداً، وهو مجدر الوجه، نحيف الجسم.

(١) البازل من الجِمال الذي بلغ تسع سنين، وليس بعده سِنٌ تسمى.

(٢) والرُّبع كهرد: الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج، فإذا نتج في آخر النتاج فهو هُبَّع، ومراد أبي العلاء: لا أفرق بين الكبير والصغير.

ونقل الشعالبي عن المصيحي الشاعر، قال: رأيت بمَعْرَة النعمان عجباً من العجب، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد، ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكفي أبا العلاء. وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى، كما يحمده غيري على البصر. انتهى.

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الكبرى المسممة بالحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاج، عند كلامه على القدس وما فيها "ودخلنا إلى المدرسة المسممة بالفخرية، وهي في غاية من الحسن والإتقان، وكمال البهاء وجمال البنيان، وفيها جملة من الكتب. ورأينا فيها ديوان أبي العلاء المعري وشرحه، ورأينا هناك مكتوبًا له هذين البيتين"، وهما قوله:

قالوا العمى منظر قبيح
قلت بفقدي لكم يهون
والله ما في الأنعام شيء
تأسى على فقده العيون

ويناسبه قوله أيضاً:

أبا العلاء يا ابن سليمان
إن العمى أولاك إحسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى
ما أبصرت عيناك إنسانا

انتهى كلام الشيخ. والبيتان الأوّلان اختلفوا في قائلهما، فنسبهما الصفدي في شرح لامية العجم (ج ٢، ص ٣٨٤) لأبي العلاء كما ذكر الشيخ، ولكن روایته "ما في الوجود" بدل "ما في الأنعام".

ونسبهما الشريishi فيشرح المقامات لبشار بن برد، وروایته، "ما في البلاد" ونسبهما: الوطواط "في الغرر والعرر ص ١٦١" لأبي العيناء، وروایته، "والله ما في الأنعام حر" والله أعلم.

والبيتان الآخران لم أجدهما في شعر أبي العلاء، ولعلهما من شعره المفقود. فإن قيل: كيف كان يَحْمِدُ اللَّهَ عَلَى الْعُمَى، وهو القائل في عكسه يتمنى الإبصار:

فليت الليالي سامحتني بـناظر
يراك ومن لي بالضحى في الأصائل
فلو أن عيني متعتها بـنظرة
إليك الأماني ما حلمت بغائل

قلنا: ليس هذا من التناقض في شيء، ولكل مقام مقال؛ لأنه أبان في الأول عن مذهبه ورأيه في الوجود، وجرى في الثاني على طريقة الشعراء في مدائحهم؛ إذ كان المقام يقتضيه. ومن هذا تعلم فرق ما بين شعرية في سقط الزند واللزوميات، لاختلاف المقامين وتبانُ الوجهتين. وإن صحت نسبة البيتين السابقين لأبي العيناء كما ذكر الوطواط، فقد جرى على مثل هذا أيضًا في قوله للمتوكل وقد سأله عن أصعب ما مر عليه في فَقْدِ بصره، فقال له: فقدي لرؤيتك يا أمير المؤمنين.

ومن قول أبي العلاء في عماد، وهو مما رواه له الصفدي:

سـوادـالـعـيـنـ زـارـسـوـادـقـلـبـيـ لـيـتـفـقـاعـلـىـ فـهـمـاـمـ الـأـمـورـ

يشير بذلك إلى أن العميان عُوّضوا عن البصر الذكاء وسرعة الحفظ. وقريب منه ما ينسب لسيدنا عبد الله بن عباس، وكان أصيب في بصره في آخر عمره:

فـفـيـ فـؤـادـيـ وـقـلـبـيـ مـنـهـمـاـ نـورـ إـنـ يـأـخـذـ اللـهـ مـنـ عـيـنـيـ نـورـهـماـ
وـفـيـ فـمـيـ صـارـمـ بـالـقـولـ مـشـهـورـ قـلـبـيـ ذـيـ وـعـقـلـيـ غـيرـ ذـيـ نـحلـ

وغاية الغايات في هذا الباب قول بشار بن برد فيمن عيَّرَه بالعمى، وإن كان من غير هذا المعنى:

وليس بعار أن يقال ضرير
فإن عمى العينين ليس يضرير
وإني إلى تلك الثالث فقير
وعياني الأعداء والعيب فيهم
إذا أبصر المرء والمروءة والتقوى
رأيت العمى أجرًا وذخرًا وعصمة

ومن طرائف أبي العلاء أنه لما فرغ من تصنيف كتابه الامماع العزيزي في شرح
ديوان المتنبي، وقرئ عليه، أخذ الجماعة في وصفه، فقال: كأنما نظر المتنبي إلى
بلحظ الغيب حيث يقول:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدي
وأسمعت كلماتي من به صمم
وكان أبو حزم مكي بن ريان المقرري الضرير الملقب بصائق الدين يتغصب لأبي
العلاء، ويطرد إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والأدب، فسلك
مسلكه في النظم. كما ذكر ابن خلkan نقلًا عن ابن المستوفى.

وتوفي - رحمه الله - يوم الجمعة، ثالث، وقيل ثاني، وقيل ثالث عشر
ربيع الأول، سنة ٤٤٩ بالملحنة، في خلافة القائم العباسي، وله من العمر نحو ست
وثمانين سنة، ومرض ثلاثة أيام، ولم يكن عنده غيربني عممه، فقال لهم في اليوم
الثالث: اكتبوا عنِّي.

فتناولوا الدُّوي والألقاب، فأمالى عليهم غير الصواب، فقال لهم
القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي: أحسن الله عزاءكم في الشيخ فإنه ميت.

فمات من غده، ودفن في ساحة من دور أهله. قال القبطي: أتيت قبره سنة خمسين وست مئة، فإذا هو في ساحة من دور أهله وعليه باب، فدخلت فإذا القبر لا احتفال به، ورأيت عليه حبازى يابسة، والموضع على غاية ما يكون من الشعث والإهمال. وقال الذهبي: وقد رأيت قبره بعد مئة سنة من رؤية القبطي، فرأيت نحوًا مما حكى. انتهى. ويقال إنه أوصى أن يكتب عليه:

هذا جنـاه أـي عـلـيـ وـما جـنـيـت عـلـى أحـد

ونقل الصفدي عن خط علاء الدين الوداعي، قال: زرت قبره بالمعرة - رحمه الله تعالى - في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وست مائة، ولم أر عليه شيئاً من ذلك، وقد دُثر ولصق بالأرض، وعملت هذين البيتين:

لـم أـتـيـتـ مـعـرـةـ النـعـمـانـ
وـسـأـلـتـ مـنـ غـفـرـ الـخـطـاـيـاـ أـنـهـ
قـدـ زـرـتـ قـبـرـ أـيـ العـلـاءـ الـمـرـضـيـ
يـهـدـيـ إـلـيـهـ رـسـالـةـ الـغـفـرـانـ

قلت: وقبره معروف إلى اليوم، أي سنة ١٣٢٧ بالمعرة، ولأهلها اعتقاد كبير فيه، ويزعمون أن الماء إذا بيت في قارورة عند قبره، وشربه في الغد صبيًّ به حبسهُ في لسانه، أو بلادة في ذهنه، زال ذلك عنه ببركة أبي العلاء.

ونقل ياقوت في "إرشاد الأريب" عن ابن الهبارية، أن السبب في وفاة أبي العلاء مكتبات جرت بينه وبين أبي نصر بن أبي عمران داعي الدعاة بمصر، دعث إلى الأمر بإحضاره إلى حلب، ووعده على الإسلام خيراً من بيت المال، فلما علم أنه يحمل للقتل أو الإسلام سَمَ نفسه فمات. قال ياقوت: وقد ظفرت بذلك الرسائل، فلم أجدها ما يدل على ما ذهب

إليه ابن الهبارية. انتهى. وأقول: هذه الرسائل هي التي لخصها ياقوت في كتابه المذكور، وقد ظفرت بها أنا أيضاً، وهي عندي تامة في نسخة مخطوطة، وليس فيها شيء من ذلك. وبعد فأي إسلام كان يريد منه داعي الدعاة، وهو رئيس الباطنية في الدولة الفاطمية، والداعي إلى مذهبهم، ونحلة القوم معروفة لا تحتاج لبيان. ومن راجع دعواتهم في خطط المقريزي عَلَمَ كيف كانوا يأخذون الداخل في مذهبهم بتشككه في دينه أولاً، ثم الخروج به رويداً رويداً من الإسلام، حتى يتنهوا به إلى الإلحاد. فهل كان ما عليه هؤلاء القوم هو الإسلام في نظر ابن الهبارية حتى يتبرأ بهذه الدعوى؟

وكان - رحمه الله - قصير القامة، نحيف الجسم ضعيفه، مُشَوَّه الوجه بآثار الجدرى، ومُنْيَ في آخر عمره بالإلقاء، وما مات خَتَمَ عند قبره في أسبوع واحد مائة ختمة، وفي رواية: مائتان، واجتمع عليه حَلْقٌ كثير، وأنشد أربعة وثمانون شاعراً مراثيهم فيه.

منها قصيدة طويلة لتلميذه علي بن همام، يقول فيها:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة
إن العمى أولاك إحسانا
ما أبصرت عيناك إنسانا
سيرت ذرك في البلاد كأنه
وترى الحجيج إذا أداروا ليلة
وذراك أوجب فدية من أحirma
قال ياقوت: بأنه يقول إن ذِكرك طيب، والطيب لا يحل للمحرم، فتجنب عليه
فدية.

ورثاه أبو الرضى عبد الرحمن بن نوت المعرى بقصيدة نذكر منها ما
وقفنا عليه في "الكوكب الثاقب" لعبد القادر السّلّوى، وهو:

في أخذ ثارك والأقدار تعذر
كأنهم بك في ذا القبر قد قبروا
أن قد تزعزع منها الركن والعجر
والفهم بعدك قوس ماله وتر

سُمر الرماح وبيض الهند تشتر
والدهر فاقد أهل العلم قاطبة
فهل ترى بك العلم عالمٌ
والعلم بعدك غمد فات منصله

ورثاه الأمير أبو الفتح الحسن بن عبد الله بن أبي حصينة المعرى بقوله:

والأرض خالية الجوانب بلقوع
تسري كما تسري النجوم الطلع
أنَّ الثرى فيه الكواكب تُودع
أن الجبال الراسيات تزعزع
ويضيق بطん الأرض عنه الأوسع
ما استكثرت فيه فكيف الأدمع
أمم وأنت بمثله لا تسمع
من قبل تركك كل شيء تجمع
تأمين خديعة مَنْ يغرس ويخدع
متطوعًا بأبر ما يُطوع
أبدًا وقلب للمهيمِن يخشى
تاج ولكن بالثناء يرصع
كندي يديك ومزننة لا تقلع
إن الدموع على سواك تضيع

العلم بعد أبي العلاء مضيع
أودى وقد ملاً البلاد غرائبًا
ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى
جبل ظنت و قد تزعزع ركته
وعجبت أن تسع المعرة قبره
لو فاضت المهجات يوم وفاته
تتصرم الدنيا وتتأتي بعده
لا تجمع المال العتيد وجذبه
 وإن استطعت فسره بسيرة أحمد
رفض الحياة ومات قبل مماته
عين تسهد للعفاف وللتقوى
شيم تجمله فهن بلحده
جادت ثراك أبي العلاء غمامه
ما ضيع الباهي عليك دموعه

قصدتك طلاب العلوم ولا أرى
للعلم بابا بعد بابك يُقرع
مات النهى وتعطلت أسبابه
وقضى التأدب والمكارم أجمع

نشأته وطلبه العلم ورحلته

نشأ بالملعورة، وأخذ النحو واللغة عن أبيه، وعن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب، وحدث عن أبيه وجده. ثم رحل إلى بغداد، فسمع من عبد السلام بن الحسين البصري. هكذا ذكر السيوطي في بُغية الوعاة، قال: وقد أسننا حديثه في الطبقات الكبرى، وله ذِكرٌ في جمع الجوامع. وذكر غيره أن أبو العلاء لما قدم بغداد، قصد أبو الحسن علي بن عيسى الربعي ليأخذ عنه، فلما أراد الدخول عليه، قال الربعي: ليدخل الإصطبل! فخرج مغضباً ولم يعد إليه.

والإصطبل بلغة أهل الشام: الأعمى. قلت: وهي لفظة معربة، ذكرها الخفاجي في شفاء الغليل، قال: ولذا قال ابن عباد: جرروا الإصطبل في قصته مع المعربي. ولعل الخفاجي أراد المرتضى، ووهم ذكر ابن عباد. وستأتي القصة. وذكر أبو الفداء أنه دخل بغداد واستفاد من علمائها، ولم يتلَمِّدْ لأحد أصلاً وهو يخالف ما ذكره السيوطي وابن خلكان وغيرهما. وكان قد رحل

أوًلاً إلى طَرَابُلْسَ، وبها خزائن كتب موقوفة؛ فأخذ منها ما أخذ من العلم، ثم رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ فأقام بها سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى المعرة وأقام بها إلى وفاته. وقول ابن خلkan إنه دخل بغداد سنة ٣٩٨، ودخلها ثانية سنة ٣٩٩، وأقام بها سنة وسبعة أشهر، لا يستقيم مع ما سيرد عليك في فصل مؤلفاته، من تصريحه عن نفسه أن رجوعه إلى المعرة ولزومه منزله كان سنة ٤٠٠.

و قبل قدومه إلى المعرة بمنية يسيرة ماتت أمّه، وأصيب في مال له، فرثاها بقصيدة ميمية طويلة، وأخرى بائمة، وكتب إلى بغداد يخاطب صديقه وتلميذه القاضي أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي بقصيدة ضمنها أغراضًا يقول فيها معتقدًا عن مفارقته العراق:

لم ألقها، وثراء عاد مستوفا^(١)
قبل الإياب إلى الذخرين أن موتا
عنسي دليلاً گِسَرَ الغمد إصليتا^(٢)

أثارني عنكم أمران: والدة
أحياهما الله عصر البين ثم قضى
لولا رجاء لقائهما لما تبعث

ولاصبحت ذئاب الإنس^(٤) طاوية

تراقب الجندي في الخضراء ممسوتو^(٤)

ومما استقر بالمعرة لزم داره، وشرع في التصنيف والإفادة، وأخذ عنه الناس، وقصده الطلبة من الآفاق، وكانته العلماء والوزراء وأهل الأقدار، وسمى نفسه: "رهن المحبسين"، يعني: حبس نفسه في المنزل، وحبس بصره بالعمى.

(١) المسفوت: القليل البركة.

(٢) الإصليت: الماضي الصقيل.

(٣) يريد بذئاب الإنس اللصوص.

(٤) المسبوت: من السبات، وهو النعاس.

وما فتئ و هو بعيد عن بلده، يَحِنُّ إِلَيْهِ و يشتاقه، ويذكره في شعره، وفيه يقول:

فِيَاتِ بِرَامَةِ يَصِفُ الْكَلَالَا
وَزَادَ فَكَانَ أَنْ يَشْجُو الرَّحَالَا
وَهُمْ مُرْدُّا وَبُرْزُلُلُهُمْ فِي صَالَا

سَرِي بِرْقُ الْمَعْرِةِ بَعْدَ وَهْنَ
شَجَا رَكْبَا وَأَفْرَاسَا إِبْلَا
بِهَا كَانَتْ جِيَادَهُمْ مَهَارِي

وقال:

رَمَانِي إِلَيْهِ الدَّهْرُ مِنْذَ لِيلَ
تَغَيَّثُ بِهَا ظَمَانَ لَيْسَ بِسَالَ

فِيَا بِرْقَ لَيْسَ الْكَرْ دَارِيْ إِنْمَا
فَهَلْ فِيَكَ مِنْ مَاءِ الْمَعْرِةِ قَطْرَةَ

وقال أيضًا:

فِيَانِي عَنْ أَهْلِ الْعَوَاصِمِ سَأَلَ
وَلَوْ أَنَّ مَاءَ الْكَرْخِ صَهَابَ جَرِيَالَ

مَتَى سَأَلْتَ بَغْدَادَ عَنِيْ وَأَهْلَهَا
وَمَاءَ بَلَادِيْ كَانَ أَنْجَعَ مَشْرَبَا

عَلَى أَنَّهُ مَا أَزْمَعَ الرَّحْلَةَ مِنْ بَغْدَادَ، عَزَّ عَلَيْهِ فَرَاقَهَا، وَفَرَاقَ أَوْدَائِهِ فِيهَا، فَقَالَ مِنْ
قَصِيدَةٍ يُجَبِّبُ بِهَا أَبَا عَلِيِّ النَّهَاوِنِيِّ:

وَزَرْنَا أَشْرَفَ الشَّجَرِ النَّخِيلَا
وَغَايَةَ كُلِّ شَيْءٍ أَنْ يَزْوَلا

وَرَدَنَا مَاءَ دَجْلَةَ خَيْرَ مَاءِ
وَزَلَنَا بِالْغَلِيلِ وَمَا اشْتَفَيْنَا

وَنَظَمَ فِي تَوْدِيعَهَا قَصِيدَةً يَقُولُ فِيهَا:

عَلَى زَفَرَاتِ مَا بَنَينِ مِنَ الذَّعِ
تَحَامَلَ مِنْ بَعْدِ الْعَثَارِ عَلَى ظَلَعِ

أَوْدِعُكُمْ يَا آلَ بَغْدَادَ وَالْحَشَا
وَدَاعَ طَنَ⁽⁵⁾ لَمْ يَسْتَقِلْ وَإِنْمَا

(5) يقال: ضني كرضي فهو ضنى وضن: مرض.

على أنهم قومي وبينهم ربعي
قدرت إذاً أفيت دجلة بالجزع
على الخمس من بعد المفاوز والرُّبع

فبئس البديل الشام منكم وأهله
ألا زودوني شربة ولو أنني
وأن لنا من ماء دجلة نُغْبَةٌ

وقال من أخرى:

رجال ولكن رب نصح مضيع
يقول بيأس من معاد ومرجع

لقد نصحتي في المقام بأرضكم
فلا كان سيري عنكم رأي ملحد

أي: لا كان سيري عنكم ذهاباً بلا إياب. أخرجه مُحرَّج الدعاء.

تلاميذه

قرأ على أبي العلاء ببغداد والمعرة كثيرون، واشتهر جماعة منهم بالاختصاص به، والانتساب إليه في العلم؛ كأبي المكارم عبد الوارث بن محمد الأبهري، وأبي تمام غالب بن عيسى الأننصاري، والخليل بن عبد الجبار القزويني، ومحمد بن أحمد بن أبي الصقر الأنصاري، وغيرهم. ومنمن روى عنه: القاضي أبو القاسم علي بن القاضي المحسن بن القاضي التنوخي، وكان من أقرانه، أخذ عنه وهو ببغداد، وصحبه، واتصلت صحبته بالتيريزي بسبب أبي العلاء.

ولد القاضي المذكور سنة ٣٦٥ بالبصرة، كما في "وفيات الأعيان" لابن خلكان، أو في سنة ٣٥٥ كما في "فوات الوفيات" لابن شاكر، والأول أصح وتوفي سنة ٤٤٧، قبل وفاة أبي العلاء بنحو سنتين. وكان صدوقاً في حديثه، وقبلت شهادته عند الحكم في حداثته، ولم يزل على ذلك مقبولاً إلى آخر عمره، وتولى قضاء عدة نواحٍ منها المدائن وأعمالها، وأدرِّيجانُ والبردان وغير ذلك. وكانت فيه دعابة: يُروى أن إسْكَافاً اجتاز بداره وهو نائم، فصاح شرائط النعال وأزعجه بصياغه، فقال لغلامه:

اجمع كل نعل في الدار وأعطها لها يصلاحها ويشتغل بها، ثم نام واستغله الإسكاف بإصلاحها إلى آخر النهار، فلما كان في اليوم الثاني فعل كذلك، ولم يدعه ينام، فقال للغلام: أدخله، فلما دخل قال له: أمس أصلحت كل نعل عندنا، واليوم تصيح على بابنا، هل بلغك أننا نتصافع بالنعال ونقطعها؟ يا غلام، قفاه.

وسمع امرأة تقول لأخرى: كم عمر ابنتك؟ فقالت: رُزِقْتُها يوم صُفع القاضي وضرب بالسياط، فقال لها: أصار صفعي تاريخاً لك، ما وجدت تاريخاً غيرها؟

وممن قرأ على أبي العلاء، وهو بي بغداد: الأديب المشهور بابن فورجة البروجردي؛ ذكر ذلك السيوطي. وهو صاحب، "الفتح على أبي الفتح" و"التجني على ابن جني" يرد فيهما على ابن جني في شرح شعر المتنبي. واختلفوا في اسمه، فقيل: محمد بن حمد، وسماه مجد الدين الشيرازي في كتابه "البلقة في أمم اللغة": حمد بن محمد، ومن شعره:

إِنَّمَا يَسْتَحْقُ ذَاهِنًا	أَيْهَا الْقَاتِلِي بِعِينِيهِ رَفِيقًا
أَنَا وَاللَّائِمُونْ فِيْكَ عَتَابِي	أَكْثَرُ الْلَّائِمُونْ فِيْكَ فَدَاكَا
إِنَّهُ دَاهِمٌ يَقْبِلُ فَاكَا	إِنَّ لِي عَيْرِيَةً عَلَيْكَ مِنْ اسْمِي

قال السيوطي: هذا الشعر يؤيد أن اسمه حَمَد. واختلفوا أيضاً في اسم جده فورجة؛ فقال السيوطي: بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم. وقال ابن شاكر في "فووات الوفيات": "فوزجة" بالفاء

المضمومة، وبعد الواو والزاي جيم مشددة. وفي النسخ خلطٌ في ميلاده ووفاته.

وأشهر تلميذ أبي العلاء: أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزى، صاحب المصنفات النفيسة، كشرح الحماسة والمعلقات، وتهذيب الفاظ ابن السّگيت، وغيرها. ولد سنة ٤٢١، وتوفي فجأة ببغداد سنة ٥٠٢، ودخل مصر في عنفوان شبابه، ثم استوطن بغداد، ودرّس الأدب بالنظمية، وكان إماماً في اللغة ثقة فيها، إلا أنه كان مُسْتَهْنَاً بالشراب. وكان سبب رحلته إلى أبي العلاء أنه تحصل على نسخة من كتاب "التهذيب" للأزهري في اللغة في عدة مجلدات، وأراد تحقيق ما فيها، وأخذها عن رجل عالم باللغة، فدلّوه على أبي العلاء، فجعل الكتب في مخلة، وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً، فنفذ العرَقُ من ظهره إليها، فأثار فيها. وكانت بعض الوقوف ببغداد، إذا رآها من لا يعرف صورة الحال ظن أنها غريبة، وليس بها سوى عرق التبريزى.

وقال العلامة عبد الهادى نجا الأبياري من شيوخ هذا العصر المتوفى سنة ١٣٠٥، في كتابه "القصر المبني على حواشى المغني" عند كلامه على أبي العلاء المعرى "ومما يدل على فضله، أن الخطيب أبا زكريا يحيى التبريزى قرأ الأدب عليه ورحل إليه من تبريز، وسيدي عبد القادر الجيلاني قرأ الأدب على التبريزى هذا، فالشيخ شيخ الجيلاني، والله أعلم" قلت: والذي قاله الشيخ من قراءة الجيلاني الأدب على التبريزى صحيح؛ ذكره ابن شاكر في ترجمة الجيلاني من "فوات الوفيات".

علمه وذكائه

اتفق محبُوه ومبغضُوه على أنه كان وافِرَ البضاعة من العلم،
غزير المادَة في الأدب، إماماً فيه، حاذقاً بالنحو والصرف، نسيج
وحده في الذكاء والفهم وقوة الحافظة. أما اللغة وحفظ
شواهدها وتقييد أوابدتها، فقد كان فيها أُعجوبة من العجائِب.
وحسبك أنهم إذا عدُّوا مَنْ رزقوا السعادة في أشياء، لم يأت
بعدهم مَنْ نالها، عُدُّوا أبا العلاء ممن تفرد بسعة الاطلاع على
اللغة.

وكلامُه الذي أورده في رسالة الغفران في بيته النمر بن تولب، وتغييره
القوافي، وتنزيلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء يدل على اطلاع كبير،
ومُكْنِن من اللغة والأدب، قل أن يتافق نظيره لشخص. وخلاصة ما ذكره أن خلفاً
الأحمر تذاكر يوماً مع أصحابه في قوله النَّمِر:

ألم بـصحتي وهم هجوع
خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى
إذا شاءت وخُوارى بـسَمْنٍ

فقال لهم: لو كان موضع أم حصن، أم حَفْص؛ ما كان يقول في البيت الثاني؟ فسكتوا، فقال: حُوارٍ بِلَمْصٍ، يعني الفالوذج. والحوارى: الدقيق الأبيض وهو اللباب. فغَيَّر أبو العلاء قوافي البيتين على حروف المعجم، وربما أتى في الحرف بالقافيتين والثلاث، ولا يتفق هذا إلا ملن رزق حظاً وافراً من الاطلاع. والممسالة ميسوطة في الرسالة، فارجع إليها إن شئت لتعلم صحة ما قلناه.

وذكر غير واحد من اللغويين أن أبا العلاء لما دخل بغداد، اعترضوا عليه في حلقة ابن المحسن، لقوله:

وپوشع رد یوحی بعض یوم وانت متی سفرت رددت یوحنا

ويُوحِي وَيُوحِي - بضمها - من أسماء الشمس. فقالوا له: صحفت، إنما هو "بوح" بالباء الملوحدة. واحتجوا عليه بكتاب الألفاظ لابن السّكري. فقال لهم: هذه النسخ التي بأيديكم غيرها شيوخكم، ولكن أخرجوا ما في دار العلم من النسخ العتيقة. فأخرجوها فوجدوها مقيدة كما قال.

واحتاج به ياقوت في معجم البلدان في تصحيح لفظة الضراح ردًا على من قال إنها بالصاد المهملة. فقال: ألا ترى إلى أبي العلاء أحمد بن سليمان المعربي، كيف جمع بين الضراح والضرائح إرادة للتجنيس والطريق، فقال:

لقد بلغ الضراح مني وساكينه نشاك وزار من سكن

والثَّا مقصُورًا وبتقديم النون على الثاء: الخبر. ومن غريب ما يَرْوُونه عنه في ذلك أنه دخل على الشَّرِيف أبي القاسم المُرْتَضى أخي الشَّرِيف الرَّضي؛ وهو في بغداد، فعثر بِرْجُل فقال: من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء: الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسمًا.

وسمعه المُرْتَضى فأدناه واحتبره، فوجده عالِمًا مُشَبِّعًا بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالًا كثيرًا. قلت: ومن هذا هرب جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، فجمع أكثر من سنتين رأيت أن اسمًا للكلب، ونظمها في أرجوزة سماها: "التَّبَرِّي من معرة المعرى" أوردتها هنا إيمانًا للفائدة لعزَّة وجودها، ثم أعقبها بشرح يحيط اللثام عن الأسماء الواردة فيها، وأتبعه بما استدركته على الناظم من أسماء الكلب، وهي:

ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى النَّبِيِّ
لَمَا أَتَى لِلنُّمُرَّاضِي وَدَخَلَ
مِنْ ذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي مَا أَبْصَرَ
مُعَبِّرًا لِذَلِكَ الْمَجَهَّلِ
سَبْعِينَ مُومِيًّا إِلَى عَلَائِهِ
لَعَلَّنِي أَجْمَعُ مِنْ ذَا مَبْلَغِهِ
وَأَرْتَجِي فِيمَا بَقِيَ تِيسِيرًا
لِي سُتْفِيدَهَا الَّذِي عَنْهَا عَجَزَ
يَا صَاحِي مِنْ مَعْرَةِ الْمَعْرَى
وَالْكَلْبُ وَالْأَبَقَعُ ثُمَّ الْزَارُ
وَالْعَرْبُجُ الْعَجَوْزُ ثُمَّ الْأَعْقَدُ
وَالْقَطْرُبُ الْفَرَنِيُّ ثُمَّ الْفَلَحَسُ

لَهُ حَمَدٌ دَائِمٌ الْوَلِيٌّ
قَدْ نَقَلَ الثَّقَاتُ عَنْ أَبِي الْعَلَا
قَالَ لِهِ شَحْضُ بِهِ قَدْ عَرَّا
فَقَالَ فِي جَوَابِهِ قَوْلًا جَلِيٌّ
الْكَلْبُ مِنْ لَمْ يَدِرِ مِنْ أَسْمَاهِ
وَقَدْ تَبَعَّثُ دَوَاوِينَ اللُّغَةِ
فَجَثَثُ مِنْهَا عَدَدًا كَثِيرًا
وَقَدْ نَظَمَتْ ذَاكَ فِي هَذَا الرَّجْزِ
فَسَمَّهُ هُدَيْتَ بِالْتَّبَرِيِّ
(1) مِنْ ذَلِكَ الْبَاقِعُ ثُمَّ الْوَازِعُ
(2) وَالْخِيَطَلُ السَّخَامُ ثُمَّ الْأَسْدُ
(3) وَالْأَعْنَقُ الْدَرِبَاسُ وَالْعَمَالَسُ

- بالمَدِ والَّقْصِ عَلَى اسْتِوَاءِ
 وَفِيهِ لَغْزٌ قَالَهُ خَبِيرٌ
 دَاعِيُ الْضَّمِيرِ ثُمَّ هَانِئُ الضَّمِيرِ
 مَشِيدُ الذِّكْرِ مَتَّمُ النَّعْمِ
 وَمُنْذِرٌ وَهَجَرَعُ وَهَجَرَعُ
 مِنْهُ مِنَ الْهَمَزَةِ وَاللَّامِ عَرِيَ
 كَذَاكَ الصَّينِيُّ بِذَاكَ أَشَبَهِ
 كَذَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْعُبَابِ
 لَوَلَدُ الْكَلِبِ أَسَامٍ ثُلْفَى
 وَهُوَ أَبُو خَالِدٍ الْمَكْتَنِيُّ
 وَكَلْبَةُ يُقَالُ لَهَا كَسَابِ
 وَكَسْبَةُ كَذَاكَ نَقْلَارُوِيَا
 وَلَعْوَةُ وَكْنَ لَذَاكَ رَاوِيَهُ
 عُسْبُورَةً إِنْ تُزِلْ حَالَمُ تُلْ
 وَأَنْ تُمَدَّ فَهُ وَجَاءَ سَمَا
 وَثَلَبٌ فِيمَا رَوَوا بِالْدِيَسِمِ
 ثُدُعِي وَقِسْ فَرَداً عَلَى مَا شَاكَلَهُ
 فِيمَا لَهُ ابْنُ دَحِيَّةٍ قَدِ اتَّسَى
 جَمِيعُ ذَاكَ أَثْبَتَوا سَمَاعَهُ
 وَمَنْ سُمَاهُ دَأْلَ قَدِ سَاوَى
 وَافْتَحَ وَضُمَّ مَعْجَمًا لِلْذُلَالِنَّ
 وَالْعِلْوَضُ السَّرْحُوبُ فِيمَا نَقَلُوا
 وَالشَّعْبَرُ الْوَأْوَاءُ فِيمَا يُسَمَعُ
- (4) وَالثَّيْغُمُ الطَّلْقُ مَعَ الْعَوَاءِ
 (5) وَعُدَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْبَصِيرُ
 (6) وَالْعَرْبُ قَدْ سَمَوْهُ قَدْمًا فِي النَّفِيرِ
 (7) وَهَكَذَا سَمَوْهُ دَاعِيُ الْكَرِمِ
 (8) وَمُثَمَّ وَكَالِبٌ وَهَبَائِعُ
 (9) ثُمَّ كَسِيبٌ عَلَمُ الْمَذَكَرِ
 (10) وَالْقَلَطِيُّ وَالسَّلْوَقِيُّ نِسَبَهُ
 (11) وَالْمُسْتَطِيرُ هَائِجُ الْكَلَابِ
 (12) وَالدَّرْصُ وَالْجَرُوْ مَثُلُّ الْفَاءِ
 (13) وَالسَّمْعُ فِيمَا قَالَهُ الصَّوْلِيُّ
 (14) وَنَقَلُوا الرُّهَدُونُ لِلْكَلَابِ
 (15) مَثُلُّ قَطَامٍ عَلَمًا مَبْنِيَّا
 (16) وَخُذْ لَهَا الْعَوَّقَ وَالْمَعَاوَيَةَ
 (17) وَوَلَدُ الْكَلِبِ مِنَ الْذِيَّةِ سَمَّ
 (18) وَالْحَقُوا بِذَلِكَ الْغَيَهْفَعِ
 (19) وَوَلَدُ الْكَلِبِ مِنْ ذَيْبٍ سُمِيٍّ
 (20) ثُمَّ كَلَابُ الْمَاءِ بِالْهَرَاكِلَهُ
 (21) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ هَنَامَامُ
 (22) وَكَلْبَةُ الْمَاءِ هِيَ الْقَضَاعَهُ
 (23) وَعَدَدُوا مِنْ جَنْسِهِ ابْنَ آوى
 وَدُئِيلُ وَدُؤُلُ وَالْذُلَالِنَّ
 كَذَاكَ الْعِلْوَضُ ثُمَّ النَّوَقُلُ
 وَالْوَعُ وَالْعَلْوَشُ ثُمَّ الْوَعَوَعُ

هذا الذي من كُتُبِ جمعتهُ
وما بَدَا مِنْ بَعْدِ ذَا الْحَقْتَةِ
والحمدُ لِلّٰهِ هَنَاءً مَمَّا
ثُمَّ عَلَى نِيَّةِ إِسْلَامٍ

تمت الأرجوزة. ولنشرع في شرحها معتمدين على ما دَوَّنوه في كتب اللغة والأمثال
والحيوان، وقد وضعنا أرقاماً للأبيات يُرْجعُ إليها في هذا الشرح، فنقول:

(1) الباقي والأبقعُ من الكلاب الذي خالط بياضه لونُ آخر، والباقي في الطير
والكلاب بمنزلة البَلَقَ في الدواب، وقول الأخطل:

كروا الضب وابن العير والباقي الذي بيت يعس الليل بين المقابر

قيل أراد الكلب، وقيل غير ذلك، والعرب تقول: لا خير في بقع الكلاب.
وترى التَّبَقِيعَ هُجْنَةً فيها، وخير الكلاب عندها ما كان لونه يذهب إلى لون
الأسد، وخير كلاب الصيد البيض. وفي المخصوص: الباقي بياض في صدر الكلب
الأسود، وهي البقعة، وكلبُ أبقى والجمع بُقعان. والوازع الكلب لأنَّه
يَزَعُ الذئب عن الغنم، أي يَكُفُّهُ، ويقال له ابن وازع أيضاً. والكلب كل
سبعين عقوراً، ثم غالب على هذا النابح، كما في القاموس. وقال شارحه: قال
شيخنا: بل صار حقيقة لغوية فيه لا تتحمل غيره، ولذلك قال الجوهرى
وغيره: هو معروف، ولم يحتاجوا لتعريفه لشهرته. انتهى. وهو من الأسماء
التي تسمَّت بها العرب؛ فمن مشهورיהם في ذلك: كُلَّيْبُ بن ربيعة من بني
تَعَلِّبَ بن وائل، وهو الذي ضربوا به المثل، فقالوا: أَعَزُّ مِنْ كَلِيبَ وَائِلَّ،
وقامت الحرب بسببه بين بَكْرٍ وتَغْلِبٍ. وكان اسمه في الأصل وائلًا، وإنما
سموه كليباً؛ لأنَّه بلغ من عزه أنه كان يحمي الكلأ فلا يقرب حماه، ويجر

الصيد فلا يُهاج. وكان إذا مر بروضة أُعجبته، أو غدير ارتضاه، كَنْع گُلِيًّا ثم رمى به هناك، فحيث بلغ عواؤه كان حِمَّى لا يُرْعِي، فلما حمى كلبيه المرميُّ الكلاً قيل: أعز من كلب وائل. ثم غالب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه؛ كذا في مجمع الأمثال للميداني. وقوله: كَنْع، هو بمعنى بَضْع وَكُوَّع، أي ضربه فصَيرَه مُعَوْج الأكواع. ومنهم كلب بن جبشية بن سَلْول في خِزانة. وكلب بن عمرو بن لُؤَيٍ في بَجِيلَة. وبنو كلب، وبنو أكلب، وبنو كلبة، وبنو كلاب، قبائل معروفة، منها في قريش كلاب بن مُرْة، وفي هَوَازِن كلاب بن ربيعة بن صَعْصَعَة. أما ذُو الكلب فهو عمرو بن العَجَلَان أحد شعراء هذيل، لُقْبَ به لأنَّه كان له كلب لا يفارقه. وعائد الكلب هو عبد الله بن مُصعب، كان واليًا للرشيد على المدينة، لُقْبَ بذلك لقوله:

مالي مرضت فلم يُعْذِنِي عائِدٌ منكم ويُرِضِ كلبكم فأعود

وهو أحد من نَطَقوا في الشعر بكلمات غلت شهرتها عليهم، فلُقْبُوا بها، وربما جمعت ما وقفت عليه من ذلك في رسالة مستقلة. والسبب الذي دعا العرب إلى تسمية أبنائها بمثل هذه الأسماء الْمُسْتَكَرَّهَة كالكلب والذئب والحجر والصخر، هو ما ذكره الراغب وغيره أنَّ أَعْرَابِيًّا سُئِلَ: لِمَ سَمِّوا أَبْنَاءَهُم بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيْحَةِ، وعبيدهم بالحسنة؟ فقال: لأنَّ أَبْنَاءَهُم لَأَعْدَاءِهِم، وعبيدهم لأنفسهم. قلت: وقد فَصَلَ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية مذاهب العرب في تسمية أبنائها تفصيلاً ترثَح إِلَيْهِ النَّفْسُ وَيَثْلُجُ بِهِ الْفَؤَادُ، فقال في آخر كتابه "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة" عند الكلام على الفَأْلِ وَالْطَّيْرَةِ، ما

نَصْهُ: وَكَانَتْ لَهُمْ مَذَاهِبٌ فِي تَسْمِيَةِ أَوْلَادِهِمْ: فَمِنْهُمْ مَنْ سَمَوهُ بِأَسْمَاءِ تَفَاؤْلًا
بِالظَّفَرِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، نَحْوُ: غَالِبٌ وَغَلَابٌ وَمَالِكٌ وَظَالِمٌ وَعَارِمٌ وَمَنَازِلٌ وَمُقَاتِلٌ
وَمَعَارِكٌ وَمَسَهَرٌ وَمَؤْرِقٌ وَمَصْبِحٌ وَطَارِقٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَفَاءَلَ بِالسَّلَامِ كَتَسْمِيَتْهُمْ
بِسَلَامٍ وَثَابَتْ وَنَحْوَهُ. وَمِنْهُمْ مَنْ تَفَاءَلَ بِتَبَيْلِ الْحَظْوَظِ وَالسَّعَادَةِ: كَسَعَدْ وَسَعِيدْ
وَأَسَعَدْ وَمَسْعُودْ وَسَعْدِي وَغَانِمْ وَنَحْوُ ذَلِكَ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَصَدَ التَّسْمِيَةَ بِأَسْمَاءِ
السَّبَاعِ تَرْهِيْبًا لِأَعْدَائِهِمْ، نَحْوُ: أَسَدٌ وَلَيْثٌ وَذَئْبٌ وَضَرَغَامٌ وَشَبَلٌ وَنَحْوُهَا. وَمِنْهُمْ
مَنْ قَصَدَ التَّسْمِيَةَ بِهَا غَلَظٌ وَخَشْنٌ مِنَ الْأَجْسَامِ تَفَاؤْلًا بِالْقُوَّةِ: كَحْجَرٌ وَصَخْرٌ
وَفَهْرٌ وَجَنْدَلٌ. وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَأَمْرَأَتِهِ تَمْخَضَ، فَيُسَمَّى مَا تَلَدَّهُ
بِاسْمِ أَوْلَى مَا يَلْقَاهُ، كَائِنًا مَا كَانَ، مِنْ سَبْعٍ أَوْ ثَعْلَبٍ أَوْ ضَبًّا أَوْ كَلْبًا أَوْ ظَبَّيًّا أَوْ
حَشِيشًا أَوْ غَيْرَهُ. انتَهَى المقصودُ مِنْهُ.

وَأَمَّا مَا سَمِيَّ بِالْكَلْبِ أَوْ أُضِيفَ إِلَيْهِ مِنَ الْبَقَاعِ وَالسَّيْوَفِ وَالْأَنْهَارِ
وَغَيْرِهَا، فَقَدْ تَرَكَنَا ذِكْرَهُ طَلْبًا لِلاختِصارِ، وَنَقْتَصَرَ مِنْهَا عَلَى قَرِيَّةِ بَحْلَبِ تَسْمِيَةِ
جُبَّ الْكَلْبِ، تَعْدُ مِنَ الْعَجَائِبِ لَا شَهَارَهَا بَيْئُرٌ فِيهَا إِذَا شَرَبَ مِنْهَا الْمَكْلُوبُ قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَ عَلَيْهِ أَرْبَاعُونَ يَوْمًا بِرَأْهُ. كَذَا ذَكَرَ صَاحِبُ الْقَامُوسِ فِي مَادَّةِ "جَ بَ بَ".

وَقَالَ يَاقُوتُ فِي مَعْجمِهِ: حَدَّثَنِي مَالِكُ هَذِهِ الْقَرِيَّةِ أَبْنُ الإِسْكَافِيِّ، وَسَأَلْتَهُ
عَمَّا يَحْكُ عنْ هَذَا الْجَبِ وَأَنَّ الَّذِي نَهَشَهُ الْكَلْبُ إِذَا شَرَبَ مِنْهُ بِرَأْهُ،
فَقَالَ: هَذَا صَحِيحٌ لَا شَكٌ فِيهِ. قَالَ: وَقَدْ جَاءَنَا مِنْذُ شَهُورٍ ثَلَاثٍ
أَنفُسُ مَكْلُوبِينَ يَسْأَلُونَ عَنِ الْقَرِيَّةِ، فَذَلِّلُوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا حَصَلُوا فِي صَحْرَائِهَا

اضطرب أحدهم وجعل يقول ملن معه: اربطوني لثلا يصل إلى أحدمكم مني أذى، وذلك أنه كان قد تجاوز أربعين يوماً منذ نهش، فربط، فلما وصل إلى الجب وشرب من ماء مات. وأما الآخران فلم يكونا بلغاً أربعين يوماً، فشربا من ماء الجب فبَرَآ. قال: وهذه عادته، إذا تجاوز المنهوش أربعين يوماً لم تكن فيه حيلة. إلى أن قال: وهذه البئر هي بئر القرية التي يشرب منها أهلها. انتهى. قلت: ولا أدرى ما فعل الله بالقرية والبئر، وإنما خصتها بالذكر دون غيرها تنبيهاً لأطباء هذا العصر، لعلهم يتوقفون للبحث والتنقيب عنها، حتى إذا وجدوها امتحنوا ماءها، فربما كان فيه من الأملاح أو غيرها ما من خاصيته شفاء هذا المرض، وعسى ألا تأخذهم حمية جاهلية فيضربوا بهذا القول عرض الحائط بغير حجة سوى ما اعتادوه من احتقار أقوال علمائنا المتقدمين. فلو لا تجربة هذا الماء وظهور نفعه في المصابين قبل أن يتجاوزوا أربعين يوماً، أي قبل استفحال الداء وتمكّنه منهم، لما استفاض خبره، ونقله هؤلاء الأعلام، ولا فائدة مثلهم في التواتؤ على الكذب في مثله.

والزارع، بتقديم الراي على الراء: الكلب. وفي القاموس: زارع اسم كلب، ومنه قيل للكلاب: أولاد زارع، وفيه أيضاً في مادة "ذرع" بالذال المعجمة: أولاد ذارع. وذراع بالكسر: الكلب. وفي المخصوص: قال علي بن حمزه: ابن زارع وابن ذراع وابن وازع: الكلب، وربما سمّي وازعأ أيضاً. انتهى.

(2) الخيطل بفتح الخاء المعجمة وسُكون الياء المثناء التحتية وفتح الطاء المهملة وبعدها لام: الكلب. والسحام بضم السين المهملة، وبعدها حاء

مهملة، مأخوذه من السُّخْمة وهي السُّواد، والذي يؤخذ من نصوص كتب اللغة أنه عَلِمْ على كلب معين لا اسم جنس للكلاب. قال الجوهرى: سُحَام اسْمَ كلب، واستشهاد بقول لبيد:

فتَقَصَّدْتُ مِنْهَا كَسَابٍ فَضْرَجْتُ
بِدِيمٍ وَغُودَرٍ فِي الْمَكَرِ سُحَامَهَا

ووافقه في ذلك شرائح المعلقات، وهو ظاهر من سياق البيت. وفي لسان العرب: سُحَيْمٌ وسُحَامٌ من أسماء الكلاب، ثم أنشد بيت لبيد. وذهب صاحب القاموس إلى أن صوابه بالمعجمة، قال: وَوَهَمَ الجوهرى. قلت: لا وَهَمَ؛ فقد ذكر بعض شراح المعلقات أنه يُروى بهما، ووافقه الميداني في مجمع الأمثال عند تفسير قولهم: "هَنِئًا لسُحَامٍ مَا أَكَلَ" فإنه أورد البيت ثم قال: وَيُروى سُحَامَهَا بِالْخَاءِ. وهذا المثل يضرب في الشماتة بهلاك العدو. وقول الزُّؤْزِي فيشرح المعلقات إنه اسم كلبة، يخالف ما أجمعوا عليه من أنه اسم كلب ذَكَرٌ، والله أعلم. والأسد لم أغث في كتب اللغة على أنه يطلق على الكلب، وإنما الذي فيها أن الكلب من أسماء الأسد.

والعُرْبُ يُضم العين المهملة وسكون الراء وضم الباء الموحدة وبعدها جيم: الكلب الضخم، كما في القاموس، أو كلب الصيد، كما في اللسان. والعَجْبُوز بفتح العين المهملة وضم الجيم وبعدهما واوا ساكنة وزاي: من أسماء الكلب، والأَعْقَد بالعين المهملة، والقفاف، والدال المهملة: الكلب؛ لأنَّ عِقادَ ذَنْبِهِ، جعلوه اسمًا له معروفةً، قال جرير:

تَبُولُ عَلَى الْقَتَادِ بِنَاتِ تَيْمٍ
مَعَ الْعَقْدِ النَّوَابِحِ فِي الْدِيَارِ

قالوا: ليس شيء أحب إلى الكلب من أن يبول على قنادة أو على شجيرة صغيرة غيرها. وروى الجاحظ في كتاب "الحيوان" مساور بن هند يهجو قوماً بأكل الكلاب:

فبشرها بلؤم في الغلام
يأبى ما يكون من الطعام
براثنها على وضم الشمام
إذاأسدية ولدت غلاماً
يخرسها نساء بنبي دبیر
تري أطفار أعقد ملقيات
يُخرسها، أي يصنعن لها الخُرسة، وهي طعام النُّفَسَاء، ودبیر بالتصغير أبو قبيلة منأسد، والوَضَم بالتحريك: ما وقى به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير، والثِّمام نبت ضعيف لا يطول كانوا يفرشونه تحت الأساقى ونحوها، وربما حَشَوا به وسدوا خَصَاصَ البيوت.

(3) الأعْنَقُ بالعين المهملة والنون والكاف: الكلب في عنقه بياض، ويقال للقلادة التي توضع في عنق الكلب: معنقة، وقد أَعْنَقَهُ إذا قلده إياها، ويقال لها أيضاً الحِدَّة بالكسر، وكذلك الأرْبَة بالضم: قلادة الكلب التي يقاد بها. والدُّربَاس، بكسر الدال المهملة وسكون الراء وبعدهما باء موحدة وألف وسین مهملة: الكلب العقور. والعَمَّاس، بفتح العين المهملة والميم واللام المشددة، وبعدها سین مهملة: كلب الصيد كما في القاموس، أو الكلب الخبيث كما في اللسان. على أنه أنشد بعد ذلك قول الطِّرْمَاج يصف كلاب الصيد:

يوزع بالأَمْراس كل عَمَّاس من المطعَمات الصيد غير الشَّواحن

وقال في تفسير يوزع: يكف، ورواه في مادة ودع: يودع، ثم قال: أي يقلدها وَدَعَ الأمراس.

والقطْرُبُ، بضم القاف وسكون الطاء المهملة وضم الراء، وبعدها باء موحدة: الصغير من الكلاب. وفي المخصوص: القَطَرَبُ (أي بفتح القاف والراء) صغار الكلاب، زعموا أن الواحد قُطْرُبُ، وليس هو جمع بل اسم للجمع. انتهى مُلَخَّصًا. والفرْنِيُّ، بضم الفاء وسكون الراء وبعدها نون وياء مشددة: الكلب الضخم، قال العجاج:

وطَاحَ في المعركة الفُرنِي

قال ابن بَرِّيٍّ: أراد الضخم من الكلاب، وقال غيره: إنما أراد الرجل الغليظ الضخم. والفلحَسُ، بفتح الفاء وسكون اللام وفتح الحاء المهملة وبعدها سين مهملة: الكلب. قال الجاحظ في كتاب الحيوان: ويقال للكلب فَلْحَسُ، وهو من صفات الحرص والإلحاح، ويقال: فلان أسأل من فَلْحَسُ. وفلحس رجل من شيبان كان حريصًا رغبيًا ومُلْحِفًا مُلِحًّا، وكل طُفَيْلِي فهو عندهم فلحس. انتهى. قلت: وإنما سَمُّوا الكلب بذلك لأنه موصوف عندهم بالحرص والإلحاح، حتى قالوا في أمثالهم: "الْحُ من كلب".

(٤) الثَّغْمُ: بفتح الثاء المثلثة وكسر الغين المعجمة وبعدها ميم: الكلب الضاري. والطلْقُ بفتح الطاء المهملة وسكون اللام وبعدهما قاف: كلب الصيد. والعَوَاء بالعين المهملة وبالمد، ويقال أيضًا بالقصر: الكلب يعوي كثيرًا. وللوزير أبي الوليد إسماعيل بن حجاج الأعلم الأشبيلي في فتوى عضه كلب في خدّه:

إذا قامر الأرواح ناظره قمر
هي الورد إيناعاً وأبقى بها أثر
وقد أثر العواء في صفحة القمر

وأغيد وضاح المباسـم
تعمد كلب عض وجنته التي
فقلت لشہب الأفق كيف صماتكم

هكذا رواها صاحب "فتح الطيب" في موضع من كتابه، منسوبة للوزير المذكور، وأعادها في موضع آخر منسوبة لأبي القاسم بن هشام، وروى المحاسن بدل المباسـم، والأسياـف بدل الأرواح. والله أعلم.

والصـمات بالضم والصـمت والصـمـوت: السـكـوت، يـشير بذلك إلى قولهـم:
لا يضر القـمر نـبع الكلـاب. وأـصل المـثل: "لا يـضر السـحـاب نـبع الكلـاب" لأنـ الكلـاب
الـبـادـيـة تـتأـذـيـ بالـمـطـر لمـبيـتهاـ أـبـدـاـ تـحـتـ السـمـاءـ، فـإـذـاـ أـبـصـرـتـ غـيـماـ نـبـحـتهـ؛ لأنـهاـ قدـ
عـرـفـتـ ماـ تـلـقـىـ مـنـ مـثـلـهـ. وـتـبـحـ أـيـضاـ القـمرـ؛ لأنـهـ إـذـاـ طـلـعـ مـنـ الـمـشـرقـ يـكـونـ
كـقطـعـةـ غـيـمـ، وـمـنـهـ قـولـ بـعـضـهـ:

يا جابرـ بنـ عـديـ أـنتـ مـعـ زـفـرـ
كـالـكـلـبـ يـنـبـعـ مـنـ بـعـدـ عـلـىـ القـمـرـ

(5) البـصـيرـ بـفـتـحـ الـباءـ الـمـوـحـدـةـ، وـكـسـرـ الصـادـ الـمـهـمـلـةـ، وـبـعـدـهـمـاـ يـاءـ سـاـكـنـةـ وـرـاءـ
مـهـمـلـةـ، لـمـ يـذـكـرـهـ الـقـامـوسـ، وـأـنـشـدـ صـاحـبـ الـلـسـانـ لـتـوـبـةـ:

أـرـىـ نـارـ لـيـلـيـ أـوـ يـرـانـيـ بـصـيرـهـ
وـأـشـرـفـ بـالـقـورـ الـيـفـاعـ لـعـلـنـيـ

ثـمـ قـالـ نـقـلاـ عنـ اـبـنـ سـيـدـهـ: يـعـنيـ كـلـبـهـ؛ لأنـ كـلـبـ منـ أـحـدـ الـعـيـونـ بـصـرـاـ. اـنـتـهـ.
قـلتـ: وـقـدـ جـاءـ فـيـ أـمـثـالـهـ. "أـبـصـرـ مـنـ كـلـبـ"، وـقـولـ النـاظـمـ: "وـفـيهـ لـغـزـ قـالـهـ خـيـرـ":
يـرـيدـ بـذـلـكـ قـولـ الـحـرـيـرـيـ فـيـ الـمـقـامـةـ الـثـانـيـةـ وـالـثـلـاثـيـنـ فـيـ فـتاـوىـ فـقـيـهـ

العرب: "قال: أَيُسْتَبَّاخُ ماءُ الضرير؟ قال: نعم، وَيُجْتَنِبُ ماءُ الْبَصِيرِ" فالمتبارد أن الضرير هو الأعمى وهو لا يستباح ماوه الذي يملكه بدون علمه. ومراد الشيخ به: حرف الوادي، وكذلك المتبارد في البصیر أنه ضد الأعمى، وماوه إذا أخذ للوضوء باطلاعه لا يجتنب، وإنما أراد به الكلب. هكذا فسره الحريري نفسه في المقاومة.

(٦) هكذا روایة البيت في نسختين من الأصل، ولم يظهر لي وجه تسمية العرب للكلب في نفريهم بداعي الضمير أو داعي الضميرة كما يفهم من سياقه، فلعل الكلام محَرَّفٌ، وقد دخل البيت التذليل، وهو من علل الزيادة، ودخوله في الرجز مختلف للمولدين.

(٧) قوله: داعي الْكَرَمِ، إنما سموه بذلك على ما يظهر؛ لأن نباح الكلب يبشرهم بقدوم الضيف، ويرشده إلى منزلهم، فيكون سبباً للكرم وداعياً إليه. وقد كان الرجل من العرب إذا ضل وتحير في الليل، فلم يدر أين البيوت، أخرجاً صوته على مثل النباح، فتسمعه الكلاب وتظنه كلباً، فتبήج، فيستدل بنباحها ويهتدى إلى المكان. وهو الذي تسميه العرب بالمستَبِّح. وأنشد أبو علي القالي في أماليه: دعوت وقد طال السرى فدعاني ومبدلي الشحنة بيني وبينه يعني كلباً، ويريد ببحث له فنبج فاهتديث به، فكانه دعاني بنباحه، وأنشد أبو علي أيضاً:

فتاه وجوز الليل مضطرب الكسر
تلبيح إلى الساري هلم إلى قدرى
تلقيته مني بوجهه امرئ بشر
بك الليل إلا للجميل من الأمر
وَمَمْتَسِّن إِلَّا وَهِيَ خانفة العَقْر
ومستَبِّح بات الصدى يستَتِّيه
رفعت ناراً ثقوبَا زناهها
فلما أتى والبؤس رادف رحاه
فقلت له أهل بأهل فلم يجر
وكادت نطير الشُّوْلِ عِرْفَان صوته

انتهى. وقد اتفق أكثر علماء الأدب، كابن رشيق وأضرابه، على أن أهجى بيت
قالته العرب، قول الأخطل فيبني يربوع قوم جرير:

قام إذا استتبغ الأضياف كلبهم قالوا لأمهم بولي على النار
وقال آخر يوصي بالكلب، وأنشدهما الجرجاني في كتاباته، وقال ابن المرزبان: إنهم
لأعرابي قالهما لأكبر ولده في كلبه:

أوصيك خيرا به فإن له خلانقا لا أزال أحمسها
يدب ضيفي علي في غسق اللي ل إذا النار نام موقدها
وفي معنى "استتبغ" أيضًا: كلب الرجل يُكْلِبُ من باب ضرب، واستتكلب، أنسد
ابن سيده على الأول:

وداع دعا بعد ما أفترت عليه البلاد ولم يَكُلِّب
وأنشد صاحب اللسان على الثاني:

ونبح الكلاب مستتكلب

انتهى.

قلت: وكما يكون الكلب سبباً لإيصال الخير وتشييد الذكر، فقد
يكون أيضاً سبباً للشر، كما جَنَّتْ على أهلها بَرَاقِشُ، وهي كلبة كانت
لقوم من العرب، فأَغْيَرَ عليهم، فهربوا وهي معهم، فاستدل العدو عليهم
بنهاها، فهجموا عليهم واصطلموا بهم، فقالوا: "على أهلها تجني بَرَاقِشُ"،
هكذا رواه الميداني في مجمع الأمثال. ورواه ابن سيده في المخصص،

والجاحظ في كتاب الحيوان: "على أهلها دلت براوش" على أن نباح الكلب على الضيف، وإن جعلوه من دواعي الكرم، لما سبق ذكره، فقد رأيناهم يعدونه في نفسه من خصاله المذمومة؛ لأنه لا ينجح على القادم إلا كراهة منه في الغريب. ومن أحسن ما يُروى في هذا الصدد نادرة أبي عبد الله محمد بن مرزوق عالم الغرب مع أهل تونس لما ورد عليهم وسؤالوه قراءة درس في التفسير بحضوره السلطان، فأجابهم إلى ذلك، وعينوا له محل البدء، فطالع فيه، فلما حضرواقرأ القارئ غير ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ .. الآية. وأرادوا بذلك إفحام الشيخ والتعريض به، فوجم هنีهة ثم تفجر بينابيع العلم، إلى أن أجرى ذكر ما في الكلب من الخصال الم محمودة، وساقها أحسن مساق، وأنشد عليها الشواهد، وجلب الحكايات، حتى عدَّ من ذلك جملة. ثم قال في آخرها: فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخلاله، غير أن فيه خصلة ذميمة، وهي إنكاره للنصف. انتهى.

وعندي أن ذمهم له بإنكاره الضيف لم يقصدوا به إلا معنى من المعانى
الشعرية، وإن فأى فائدة من الكلب أعظم من حراسته أهله، ودفعه عنهم؟!

(8) **الثُّمَّ**، بفتح الثاءين المثلثتين وسكون الميم الأولى: كلب الصيد. والكلاب ليس اسمًا للكلب، بل هو والكليب كأمير: جماعة الكلاب. وفي اللسان: الكليب كالعييد، جمع عزيز. وأنشد في وصف مفازة:

كأن تجاوب أصدائها مكاء الملك يدعوا الكليل

والمكّلّب بكسر اللام المشددة: معلّم كلاب الصيد، ومُكاؤه: صفيره. وقال شارح القاموس نقلاً عن شيخه: إنهم اختلفوا في الكلب هل هو جمع أو اسم جمع، وصححوا أنه إذا دُكِّر كان اسم جمع كالحجيج، وإذا أنتَ كان جمّعاً كالعيدي. انتهى.

وهيلع كِدرْهَم، أي بكسر الهاء وسكون الباء وفتح اللام وبعدها عين مهملة: الكلب السَّلْوقي، واسم كلب بعينه. ومُنْذَر كأنه من إنذار أهله لطارق. وأهْوَج لم يذكروه، وذكره الجاحظ على أنه الكلب في بيت أنشده في كتاب الحيوان. والهِجْرَع بكسر الهاء وسكون الجيم وفتح الراء وبعدها عين مهملة: الكلب السَّلْوقي الخفيف.

(٩) گُسَيْبُ مُصْغَرًا: اسم كلب، كما في المخصوص، وفي اللسان: گُسَيْبُ من أسماء الكلاب، ومراده من الأعلام التي تسمى بها الكلاب، كما وضحت الناظم في البيت. وقد خصوه بذكر الكلاب كما خصوا گَسَاب وگَسْبَة بإناثها. وسيأتي قول الناظم فيهما، وإنما كانوا يسمون كلابهم بذلك تفاولاً بالكساب والاكتساب.

(١٠) القَلَطِيُّ، بفتح القاف واللام وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مشددة، والقلاط كغراب، والقِيلِيط بكسر القاف واللام؛ كل ذلك القصير المجتمع من الناس والسناني والكلاب، وقد جاء به أبو الشمقمق في قوله من أبيات:

حِتَّه زائِرًا فَأَدْنِي مَكَانِي وَتَلَقَّى بِمَرْحَبٍ وَتَحِيَّه
لَا كَمِثْلُ الْأَصَمِ حَارِثَةُ الْلُّؤْ مِشَيِّهُ الْكُلَّيْنِيَّةُ الْقَلَطِيَّةُ

وفي حياة الحيوان أن القَلَطِي نوع من الكلاب السَّلْوُقِيَّة صغير الحِرْم قصير القوائم، ويقال له: الصَّيني. والسلوقي، بفتح السين المهملة، نسبة إلى سَلْوَق، وهي أرض أو قرية باليمن، وذهب الجوهرى إلى أنها مدينة بالشام، قال القُطَّامي:

مَعَهُمْ ضَوارٌ مِنْ سَلْوَقٍ كَأْنَهَا
خُصْنٌ تَجَوَّلُ تُجَرِّزُ الْأَرْسَانَا

وفي معجم ياقوت نقلاً عن ابن الحاثك، وهو يذكر اليمن: سلوق كانت مدينة عظيمة بأرض الجديد، واسم بقعتها اليوم حسل الزينة، إلى أن قال: وإليها كانت العرب تنسب الدروع السَّلْوُقِيَّة والكلاب السلوقية. انتهى. وقيل: سلوق بلد بطرف أرمينية يعرف ببلد اللآن، وتنسب إليه الكلاب. وقيل: بل هي منسوبة إلى سَلَقِيَّة بفتحتين فسكنون وباء مفتوحة مخففة: بلد بالروم، فلما نسبوا إليه قالوا: سَلَوْقِي، فغيروا النسب. وجاء في اللسان: سلوق أرض باليمن، وفي التهذيب: قرية باليمن، وهي بالرومية: سَلَقِيَّة. انتهى. فسلقية على هذا في اللغة الرومية هي سلوق التي باليمن. والله أعلم. أما علماء الحيوان من الإفرنج اليوم، فيقسمون السلوقي إلى عدة أنواع، لكل صق نوع، واسمه في لغة الفرنسيس لفريه (Lévrier) ويدّهبون إلى أن أنواعه تفرعت من جنس أصلي كان في سهول غرب آسيا، ولهم في تعديدها كلام كثير ليس هذا موضعه. ورأيت في المعجم الكبير للاڑوں أن السلوقي (Sloughi) الحقيقي يوجد في الأقاليم الهندية الغربية، وهو أصهَبُ اللون. والثَّصِيبِي بفتح النون وكسر الصاد المهملة، نسبة إلى تَصِيبِين، ويقال في النسبة إليها: تَصِيبِيني أيضًا. وهي ثلاثة مواضع:

مدينة من بلاد الجزيرة، وقرية من قرى حلب، ومدينة بشاطئ الفرات، تُعرف بنصيبين الروم. ولم أر أحداً نصَّ على اشتهر واحدة منها بنوع من الكلاب يناسب إليها؛ فلماً أن يكون الناظم رأه في كتاب لم نطلع عليه، أو يكون أراد الصيني، فحرَّفه الناسخ. وعلى هذا يكون الشطر: "كذلك الصيني بذاك أشبَّهه" أو نحو ذلك. وقد مر بك عن الدميري في "حياة الحيوان" أن القلطى يقال له: الصيني. فقول الناظم: "بذاك أشبَّهه" بعد ذكره القلطى، يرجح أنه أراد الصيني. على أن كثيراً من أئمة اللغة لم يذكروا الصيني إلا في معرض رده وتجليط قائله، فقالوا: كلب زئنيٌّ: قصير، ولا تقل صيني. ورأيت الجاحظ جمع بينهما في كتاب الحيوان فقال: "والكلب الزئني الصيني يُسَرِّج على رأسه ساعات كثيرة من الليل، فلا يتحرك. وقد كان فيبني ضبة كلب زئني صيني يُسَرِّج على رأسه، فلا ينبعضيه نابض، ويدعونه باسمه، ويرْمى إليه ببضعة اللحم، والمسرحة على رأسه، فلا يميل ولا يتحرك، حتى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه؛ فإذا أزيل عن رأسه وثب على اللحم فأكله. دُرَّبَ فدَرِّبَ، ونُقْعَدَ فنُقْعَدَ، وأدْبَ فَقَبِيلَ". وعلى كل حال فالصيني ذَكَرُوهُ، وإن خطأ بعضهم قائله، بخلاف النصيبي، فإنما لم نر أحداً ذَكَرَه فيما نعلم.

(11) المستطير بالسين والطاء والراء المهملة جميعها: الكلب الهائج، أي طالب السُّفَاد. وأراد الناظم بالعباب: كتاب العباب الراخِر في اللغة، وهو كتاب كبير يقع في عشرين مجلداً للإمام حسن بن محمد الصاغاني أو الصخاني، المتوفى سنة ٦٥٠، بلغ فيه إلى المليم، ووقف في مادة بكم، ومات قبل إتمامه؛ ولهذا قيل:

إِنَّ الْمُصَانِيَ الَّذِي
كَانَ قَاتِلًا مُأْمَنَهُ

(12) الْدُّرْصُ بِتَثْلِيثِ الدَّالِ الْمُهَمَّلَةِ وَسَكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدِهِمَا صَادٌ مُهَمَّلٌ: وَلَدَ الْكَلْبُ، وَكَذَلِكَ الْجَرْوُ مُثْلِثُ الْأُولَى.

(13) السُّمْعُ بكسر السين المهملة وسكون الميم وبعدهما عين مهملة، أورده الناظم على أنه من أسماء ولد الكلب، نقلًا عن الصُّولى. والذي في مادة "س م ع" من كتب اللغة أنه سَبْعُ مركب، وهو ولد الذئب من الصُّبْع، ومن أمثالهم: "أَسْمَعُ من سِمْعٍ" وممن السِّمْعُ: الأَرْلَ. قال:

تراه جديد الطرف أبلغ واضحاً أغر طويل الباع أسمع من سمع

ثم رأيت في مادة "خ ي هـ ف ع" من اللسان أنه ولد الكلبة من الذئب نقلًا عن الأزهرى، ورأيت أيضًا في جزء للناظم سماه "التهذيب في أسماء الذئب" أن السمع بين الذئب والكلب. وأبو خالد: من كُنى الكلب، ذكره الناظم في المزهر، وقال أبو السعادات المبارك بن الأثير في المرضع: أبو خالد هو الكلب، من قولك: أخلد الرجل بصاحبه إذا لزمه، وأخلد بالمكان إذا أقام به. وهو كنية الشعلب أيضًا. انتهى.

قالت: وللكلب كنى أخرى ستدركها فيما استدركناه على الناظم بعد تمام الشرح.

(14) و (15) في نسختين من الأصل بإسقاط لفظة "أيضاً" من عجز البيت، فيصير الشطر: "وكلبة قيل لها گسَاب"، ولابد في هذه الحالة من

كسر باء كساب للوزن، وهو مع هذا لا يلتئم مع الصدر؛ لأن العروض دخلتها إحدى علل الزيادة وهي التذليل، ودخوله في الرجز مغتفر للمولدين. والبيت مُصرّع، ولابد في التصريح من مطابقة الضرب للعروض في الوزن والقافية؛ فلهذا اضطربنا لزيادة "أيضاً" مع التنبيه عليها في الشرح ليُلتئم الشطران في الوزن. ويمكن أن يقال بإسقاطها:

ونقلوا الزهاد للكلاب وكلبة قيل لها كساب

إلا أن احتمال سقوط لفظة من قلم الناسخ سهواً أقرب من تغيير "الزاهدون" بالزهاد. أما وصف الكلب بالزهد، فقد وقفت في مجموع على رسالة في خصال الكلب المحمودة، تُنسب للحسن البصري، جاء فيها ما نصه: "الحَصْلَةُ الرَّابِعَةُ، أَنَّهُ إِذَا مَاتَ لَا يَكُونُ لَهُ مِيرَاثٌ، وَذَلِكَ مِنْ أَخْلَاقِ الزَّاهِدِينَ". وكتبت في ريب من أمر هذه الرسالة، حتى رأيتها في نفح الطيب مسوقة في ترجمة أبي عبد الله الراعي الغرناطي، وذكر أنه أوردها في باب العَلَمِ من شرحه على الألفية، منسوبة للحسن البصري. والله أعلم.

ومن أمثالهم في ذلك: "أشَكَّرُ مِنْ كَلْبٍ"، إلا أن الأكثرين على وصفه بالحرص والشَّرَه ومن أمثالهم فيه: "أَحْرَصُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى جِيفَةٍ" ومن كلب على عَرْقٍ، والعَرْق بالفتح: العظم عليه اللحم أو الذي أَكَلَ لحمه وقالوا أيضاً "أَلَامُ مِنْ كَلْبٍ عَلَى عَرْقٍ" و"أَنْهَمُ مِنْ كَلْبٍ". وكساب كَقَطَامٌ مبنياً على الكسر: الذئب، كما في القاموس. وفي الصحاح والمخصص أنه اسم كلبة، وهو الذي أراده الناظم. وقد مر بك بيت أبيد الذي ذكر فيه كلبة تسمى بهذا الاسم. ومثله گَسْبَة بالفتح، قال الأعشى:

ولزَ كَسْبَةُ أُخْرِي فِرْعَاهَا فَهَقَ

(16) العَوْلَقُ بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح اللام وبعدها قاف: الكلبة الحريصة. والمعاوية الكلبة المستحرمة تعوي إلى الكلاب. ومن طريف ما يحكي أن جارية بن قدامة دخل على أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، فقال له: ما كان أهونَك على أهلك إذ سموك جارية؟ فقال: وما كان أهونَك على أهلك إذ سموك معاوية! وهي الأنثى من الكلاب. ويروى أن شريك بن الأعور دخل عليه وكان دميمًا، فقال له معاوية: إنك لدميم والجميل خير من الدميم، وإنك لشريك وما لله شريك، وإن أباك للأعور والصحيح خير من الأعور، فكيف سُدْتَ قومك؟ فقال له: إنك معاوية، وما معاوية إلا كلبة عَوْتٌ فاستعوت الكلاب، وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر، وإنك لابن حرب والسلم خير من الحرب، وإنك لابن أممية، وما أمية إلا أمّةٌ صُغِرتْ، فكيف صِرْتَ أمير المؤمنين؟!

ويشبه هذا ما رواه أبو هلال في الصناعتين: أن رجلاً من قريش قال لخالد بن صفوان: ما اسمك؟ قال: خالد بن صفوان بن الأهتم، فقال الرجل: إن اسمك لكذب، ما خلد أحد. وإن أباك لصفوان، وهو حجر، وإن جدك لأهتم، والصحيح خير من الأهتم. قال خالد: من أي قريش أنت؟ قال: منبني عبد الدار. قال: فمثلك يشتم تميماً في عرّها وحَسِبِها، وقد هشمتك هاشم، وأمّتك أممية، وجمحت بك جمع، وخَرَمْتَك مخزوم، وأفَصَّتَك قُصي، فجَعَلْتَك عبد دارها، وموضع شنارها؛ تَفْتَح لِهِم الْأَبْوَاب إِذَا دَخَلُوا، وَتُغْلِقُهَا إِذَا خَرَجُوا. انتهى.

واللَّعْوَةُ: بفتح اللام وسكون العين المهملة، واللغاة بفتحتين: الكلبة من غير تخصيص بشيء وحرص، وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" يقال: أحضر من لَعْوَةً، وهي الكلبة. وفي اللسان ومجمع الأمثال للميداني: "أجوع من لَعْوَةً".

(17) **العُسْبُورُهُ:** بضم العين وسكون السين المهملتين وضم الباء الموحدة وبعدها واو ساكنة وراء وهاء: ولد الكلب من الذئبة، ويقال له: العسبور أيضاً، ولهذا قال الناظم:

" وإن تزل ها لا تلم" أي إن نطقت به بدون هاء لا يلومك إنسان؛ لأنه مسموع.

(18) **الخَيْهَقَعُ**، بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية، وفتح الهاء والفاء والعين المهملة مقصورةً: ولد الكلب من الذئبة. وقد سمع أيضاً بالمد. وفي اللسان حكى الأزهري عن أبي تراب قال: سمعت أعرابياً منبني تميم يكنى أباً الخَيْهَقَعَ، وسألته عن تفسير كنيته، فقال: يقال إذا وقع الذئب على الكلبة جاءت بالسمع، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخيهقعي. قال: وليس هذا على أبنية أسمائهم مع اجتماع ثلاثة أحرف من حروف الحلق، وقال عن هذا الحرف وعما قبله في باب رباعي العين في كتابه: وهذه حروف لا أعرفها، ولم أجدها أصلاً في كتب الثقات الذين أخذوا عن العرب العاربة ما أودعوا كتبهم، ولم أذكرها وأنا أحقرها، ولكن ذكرتها استنداً لها وتعجبًا منها، ولا أدرى ما صحتها.

انتهى.

(19) الْدَّيْسَم، بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثلثة التحتية وفتح السين المهملة وبعدها ميم: ولد الثعلب من الكلبة، أو ولد الذئب منها. هكذا في القاموس واللسان، وقال الجوهرى في الصحاح: الْدَّيْسَم: ولد الدُّبُّ، قال: وقلت لأبي الغوث: يقال إنه ولد الذئب من الكلبة، فقال: ما هو إلا ولد الدُّبُّ. انتهى. وقال الجاحظ: إنه ولد الذئب من الكلبة، وهو أغير اللون، وغبرته ممتزجة بسود.

(20) الْهَرَاكِلَة، بفتح الهاء والراء وكسر الكاف وفتح اللام: كلاب الماء، وقول ابن أحمر الباهلى يصف دُرَّةً:

رأى من دونها الغواص هولا هراكلة وحيتانًا ونونًا

الأزهري في التهذيب بكلاب الماء. وقال الصاغاني في العُباب: هي جمال الماء، وقيل: هي ضخام السمك.

(21) الْقُنْدُس كُنْقُنْدُس، أي بضم القاف وسكون النون وضم الدال المهملة وبعدها سين مهملة: كلب الماء. أهمله القاموس واللسان والمخصص، وذكره شارح القاموس والدميري في حياة الحيوان، ونسبا تفسيره بذلك لابن دَحْيَة. كما ذكره النظام، وعبارته تفيد أنه أَهْمَل وَنُسِيَ.

(22) الْقُضَاعَة، بضم القاف وفتح الضاد المعجمة والعين المهملة: اسم كلبة الماء.

(23) شرع النظام في هذا البيت وما بعده يُعدُّ أسماء ابن آوى، تبعًا لمن عَدَه نوعًا من الكلاب، فذكر من أسمائه: الدال بفتح الدال المهملة وسكون الهمزة وبعدهما لام. والدُّلَل بضم فكسر، وقد نصُوا على أن لا نظير لها إلا:

رُّم. والدُّوْل بضمتين. والدَّلَان محرَّكَةٌ، ويقال فيه الدَّلَان بفتح الذال المعجمة، والدُّلَان بضمها، إلا أن الهمزة فيها ساكنة. والعِلْوَض، بكسر العين المهملة وفتح اللام المتشدة، وسكون الواو وبعدها ضاد معجمة. والنَّوْقَل بفتح النون وسكون الواو وفتح الفاء وبعدها لام. واللَّعْوَض، بفتح اللام وسكون العين المهملة وفتح الواو، وبعدها ضاد معجمة. والسُّرْحُوب بضم السين المهملة وسكون الراء وضم الحاء المهملة وبعدها واو ساكنة وباء مُوحَّدة. واللَّوْعُ، بفتح الواو وبعدها عين مهملة مشددة. واللَّعْوَش، بكسر العين المهملة وفتح اللام المتشدة وبعدهما واو ساكنة وشين معجمة. واللَّوْعَوْع بفتح الواوين وإسكان العين الأولى المهملة. والشَّغْبَر، بفتح الشين وإسكان الغين المعجمتين، وفتح الباء الموحدة وبعدها راء؛ وبالزاي المعجمة تصحيف. واللَّوْأَوَاء، بفتح الواوين وسكون الهمزة الأولى. وكلها من أسماء ابن آوى.

هذا ما أردنا بيانه، ويتبين منه ثلاثة أمور:

الأول: أن الناظم - رحمه الله - مع استيفائه لكثير من أسماء الكلب قد أدرج فيها بعض صفات يشتراك فيها الكلب مع غيره، ولم نجد مع كثرة البحث نصاً على أنها غلبت عليه، حتى يمكن عدُّها في أسمائه؛ كذكره الزاهد والمنذر، وداعي الكرم، ومشيد الذكر ونحوها. فالظاهر أنه تسامح في إيرادها، أو يكون وقف فيها على ما لم نقف عليه. وفوق كل ذي علم عليم.

الأمر الثاني: إيراده أربعة أعلام مشهورة للكلاب نص منها على ثلاثة، وهي:
كُسيب وَكَسَاب وَكَسْبَة، وسكت عن واحد وهو سُحَام، فدل بِسُكوتِه على عَدَه
من أسماء الأجناس، وكلاهما لا يرئه من مَعَرَّة المَعْرِي؛ لأن جعل سُحَام اسم
جنس وَهُم ظاهر.

وإيراد ثلاثة أعلام خارج عن مقصود أبي العلاء، إلا أن يكون أوردها
زيادة منه في الفائدة. وهو أيضًا تقصير، لاقتصره عليها، مع وجود ما هو أشهر
منها.

الأمر الثالث: ما فاته من أسمائه، وهو ما نريد استدراكه هنا، وبعضه مر أثناء
الشرح، فمنها:

● "الدَّرْوَاسُ" بكسر أوله، وهو الغليظ العنق من الكلاب، وقيل الكبير الرأس منها،
وقول بعضهم:

بِتَّا وَبَاتْ سَقِيطُ الطَّلْ يَضْرِبُنَا عَنْدَ النَّدُولِ قِرَائَا نَبْجُ دِرْوَاس
قيل: إن أولى ما يُفسَّر به: الكلب، لقوله: قِرَائَا نَبْجُ دِرْوَاس؛ لأن النَّبْج إنما هو في
الأصل للكلاب. وقوله: النَّدُول، يجوز أنه عنى به امرأة أو رجلاً من النَّذل وهو
شبيه الوسخ، أو عَنَى به كلبة. ورواه الجاحظ في كتاب الحيوان: "بين البيوت"
وَدِرْوَاسُ أيضًا: اسم كلب بعينه. والأظهر أن البيت قيل فيه، أو في كلب آخر
يسمي بهذا الاسم.

● و"الأَرَشَم" قالوا: سمي بذلك لتشممِه الطعام وحرصه. وقد يطلق أيضًا على
الذئب.

● و "العَفِرَاسُ" بالكسر، وهو الشديد العنق الغليظ من الكلاب، ومثله "العَفَرَسُ" و "الْقُلَاظُ" بالضم و "الْقِيلِيطُ" بالكسر، كلاهما القصير المجتمع، ويقال فيهما: **القلطي**، وقد ذكره الناظم.

● **والأَغَضَفُ** ومثله "الغاضف" وهو المسترخي الأدن من الكلاب. وفرق بينهما ابن الأعرابي فقال: الغاضف من الكلاب المتكسر أعلى أذنه إلى مقدمه، والأغضف إلى خلفه، كذا في اللسان. ثم قال: والغاضف، كلاب الصيد من ذلك صفة غالبة. انتهى. وقول لبيد:

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا غضفا دواجن قافلا أعصابها
أراد كلاب الصيد.

● و "ابن بُقَيْع" بالتصغير، ذكره ابن الأثير في المرضع. "و ابن وازع وابن زارع" و ابن ذارع وابن ذراع وابن بوزع وابن عولق.

فهذه خمسة عشر اسمًا للكلب فاتت الناظم.
وفاته من أسماء أولاده:

● "الصُّرُو" بالكسر، وهو الضاري من أولاد الكلاب. ومثله "الصَّرِيءُ" و "الْأَسْبُورُ" وهو ولد الكلب من الضبع، كما في حياة الحيوان ومجمع الأمثال، عند تفسير قولهما: "أسمع من سمع"
وفاته من أسماء ابن آوى:

● "البُرْعُل" بالضم، وهو ولد الوبر من ابن آوى.
وفاته من أسماء الكلبة:

- "اللَّعَاةُ" بفتحتين، وهي الكلبة الحريةصة، أو الكلبة مطلقاً من غير تخصيص.
 - "والبَوْزُ" وهي الكلبة الحريةصة، كما في المرصع.
 - وفاته من كُنْى الكلب "أبو حاتِم" و"أبو ذِرَاعٍ" و"أبو قِيسٍ" و"أبو عَامِرٍ"؛ لأنَّه يعمر بيت صاحبه بحراسته إِيَاه. و"أبو عِطَافٍ" بكسر العين والتخفيف لأنَّه يعطف على أصحابه، قال العَجَاج يصف صائداً:
- ذَا أَكَلَبَ كَالْأَسْهَمِ الْعَطَافَ يَشْلِي عِطَافاً وَأَبَا عِطَافٍ
كَذَا فِي الْمَرَصَعِ. وَرَوْاْيَةُ الْدِيَوَانِ: ذَا أَكَلَبَ نَوَاهِزِ خِفَافٍ.
وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى: "آكَلُفُ مِنْ كَلْبٍ".

ولهم في وفاء الكلب وعطافه على صاحبه أقوال ونواودر كثيرة، وربما فضلوه في ذلك على الصاحب والخليل. وقد جمع منها ابن المربزيان جملة صالحة في كتاب سماه: "فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب" وقفَت عليه ونقلت منه في هذه الرسالة. ومن وقف على ما كتبه الجاحظ عن الكلب في كتاب "الحيوان" رأى عجباً عجباً. ويدركون من نواودر وفائه أن الربيع بن بدر كان له كلب قد رباء، فلما مات جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات.

ومما مات عامر بن غيرة لزمت كلابه قبره حتى ماتت عنده، وتفرق عنه الأهل والأقارب. وقال الشعبي: خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق في محبته. وأنشد القالي في أماليه لأعرابي:

أضر عليك من كلب الكلاب
وأن صديق هذا في عذاب
وقد حزمت على رجل مصاب
وأخذى الله أثوابا عليه

كلاب الناس إن فكرت فيهم
لأن الكلب لا يؤذى صديقا
ويأتي حين يأتي في ثياب
فأخذى الله أثوابا عليه

ومن أغرب ما رأيته ما حكاه الجرجاني في كنایاته عن محمد بن حرب، قال: رأيت العتّاي يُنادِم كلباً، يشرب كأساً ويُولـغه كأساً. فكـفـته في ذلك، فقال: إنه يـكـفـ عنـيـ آذـاهـ وـأـذـىـ سـوـاهـ، ويـشـكـرـ قـلـيلـيـ، ويـحـفـظـ مـبـيـتـيـ وـمـقـيلـيـ، فـهـوـ مـنـ بـيـنـ الـحـيـوانـ خـلـيلـيـ. قال ابن حرب: فـتـمـنـيـتـ أـنـ أـكـونـ كـلـبـاـ لـأـحـوـزـ هـذـاـ النـعـتـ. وقد ذـكـرـ اـبـنـ الـمـرـزـبـانـ هـذـهـ الـقـصـةـ لـإـبـرـاهـيمـ الـمـوـصـلـيـ معـ الفـضـلـ بـنـ يـحـيـىـ بـعـضـ اـخـتـلـافـ. وـهـلـ أـعـلـمـ. وـلـمـ يـذـكـرـ النـاظـرـ مـنـ كـنـىـ الـأـنـثـىـ شـيـئـاـ وـهـيـ:

● "أم عولق" و "أم ذراع" و "أم الْهَمَرِش" بتشدد الميم المفتوحة كما في المرصع، وفي القاموس واللسان: الْهَمَرُش اسم كلبة. و "أم يعفور" قال في المرصع: هي الكلبة، وأنشد:

يا أم يعفور سـاقـاكـ العـهـدـ
لا زـالـ مـنـ صـيـدـ عـلـيـكـ لـبـدـ
يقول: لا زـالـ عـلـيـكـ مـاـ تـصـيـدـيـنـ لـبـدـ مـنـ وـبـرـ الـأـرـانـبـ وـغـيرـهـاـ. وـالـيـعـفـورـ فـيـ الأـصـلـ:
وـلـدـ الـظـبـيـةـ وـوـلـدـ الـبـقـرـةـ الـوـحـشـيـةـ وـ"ـأـمـ الـعـاوـيـاتـ"ـ وـالـعـاوـيـاتـ أـوـلـادـهـاـ. وـكـذـلـكـ لـمـ
يـذـكـرـ مـنـ كـنـىـ اـبـنـ آـوـيـ شـيـئـاـ، وـهـيـ:

● "أبو دُؤيب" و "أبو گَعْبٍ" و "أبو معاوية" و "أبو وائل" "أبو أيوب". والله أعلم.

أما أعلام الكلاب المشهورة التي عنوا بذكرها فكثيرة، منها:

● سَحِيمُ، وَطِحَّالُ، وَأَكَدُرُ، وَوَاشِقُ، وَزْهَمَانُ، وَمَيْلَعُ، وَبَرَاقْشُ، وَجَدْلَاءُ: كَلَبات.
وَالْمُخْتَلِسُ، وَغَلَبُ، وَالْقَنِيْصُ، وَسَلْهَبُ، وَسِرْحَانُ، وَالْمَغْنَاطِيسُ، هي خمسة أكبَلَ
كانت لرجل اسمه ذريح، وأَخْرَ اسْمَهُ أبو دُجَانَة، يَصِيدُانِ بها الظباء.

● وَقَرْحَانٌ: اسْمَ كَلَبٍ لَهُ قَصَّةٌ تَحَامِيتُ عَنْ ذَكْرِهَا، حَبَسَ سَيِّدُنَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ
بِسَبِبِهَا ضَائِقَةً بْنَ الْحَارِثِ الْبُرْجُومِيِّ.

● وَضَمْرَانٌ بِالضمِّ وَبِالْفَتْحِ، وَرُوِيَّ بِهِمَا فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ:

فَهَابُ ضَمْرَانٌ مِنْهُ حِينَ يُوزَعُهُ طَعْنُ الْمَعَارِكِ عِنْدَ الْمَحْجَرِ النَّجْدِ
هُوَ اسْمَ كَلَبٍ.

● وَضَبَّارٌ، بِتَشْدِيدِ الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ، الَّذِي قَالَ فِيهِ الْحَارِثُ بْنُ الْخَرْجِ الْخَفَاجِيُّ:

فَذَكَرَتْ حِينَ تَبَرَّقَعَتْ ضَبَّارًا سَفَرْتُ فَقَلْتُ لَهَا هَجِ فَتَبَرَّقَعَتْ
فَكَأْمَاكَسِي الْحَمَارِ خَمَارًا وَتَزَيَّنَتْ لَتَرْوِيعِي بِجَمَالِهَا
لَوْلَا الْحَيَاءَ أَطْرَهَا إِحْضَارًا فَخَرَجَتْ أَعْثَرَ فِي قَوَادِمِ جَبَتِي
هُوَ اسْمَ كَلَبٍ لَهُ، وَقَوْلُهُ: هَجِ زَجْرُ لِلْكَلَبِ. وَكَانَ لِسَلِيمَانَ بْنَ دَاؤِدَ الْهَاشَمِيِّ كَلْبٌ
صَيْدٌ يُسَمَّى زُبُورًا، وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو نَوَاسَ:

إِذَا الشَّيَاطِينَ رَأَتْ زَبَورًا قدْ قَلَدَ الْحَلْقَةَ وَالسَّيُورَ

من أرجوحة يقول في آخرها:

فأمتع الله به الأميرا ربي لازال به م سرورا

ومن طرائفهم ما رواه الراغب في محاضراته لأبي محبّن، في رجل اسمه: وثّاب واسم كلبه: عمرو، ورواهما في موضع آخر من هذا الكتاب لابن أبي عتيق، باختلاف في الرواية:

ولو هي أله الله من التوفيق أبابا
لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا

وقلت: تذكرت بهذهين البيتين قصة ظالم، لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ي يريد الإسلام، وكان معه كلب له اسمه: راشد، فسألته - عليه السلام - عن اسمه واسم كلبه، فلما أخبره ضحك عليه السلام، وقال: اسمك راشد واسم كلبك ظالم. وفي رواية أنه كان يسمى غاوي بن ظالم، فسماه - عليه السلام - راشد بن عبد الله. وسبب إسلامه أنه كان سادناً لصنم اسمه سواع، فرأى يوماً ثعلباً يَعْدُو عليه ببولة، فكسَرَهُ، وقال فيه:

أربب يسول الشaban برأسه لقد ذل من بالـت عليه الشعالـب

وفي القصة، ورواية هذا البيت ونسبته لراشد، اختلاف ليس هذا محل دِكْره.

وكان مليمنة أم المؤمنين رضي الله عنها كلب اسمه مِسْمار. قال صاحب القاموس: إنه مرض، فقالت: وارحمة لمسمار. وفي "فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب" كتاب لابن المَرْزَبَان، أنها رضي الله

عنها كانت إذا حجَّت خرجت به معها؛ فليس يطمع أحد في القرب من رحلها مع مسمار، فإذا رجعت جعلته فيبني جَدِيلَةً، وأنفَقْتُ عليه، فلما مات قيل لها: مات مسمار، فبكت وقالت: فُحِجْتُ بمسمار.

وفي هذا القدر كفاية، فقد كدنا نخرج عن المقصود. ولو لا خوف الإطالة لذكرت أيضاً ما ورد من أمثالهم في الكلب، وهي كثيرة تربو على خمسة وخمسين مثلاً، على أن ما ذكرناه وإن طال فلا يخلو من فائدة، وفي التنقل جمام للأنفس.

رجُعٌ إلى أبي العلاء

وعلى الجملة فلا يختلف اثنان في علمه وفضله، ووقفه على دقائق العربية، ولا عبرة بهن لحنه في قوله:

يذيب الرعب منه كل غضب فلو لا الغمْدُ يمسكه لسالا

بأن مذهب الجمهور وجوب حذف الخبر بعد "لولا"، بناء على أنه لا يكون إلا كوناً مطلقاً، فإذا أرِيد السكون المقيد جعل مبتدأ، فكان عليه أن يقول: فلو لا إمساك الغمد إيه لسال، أي موجود. وأما التركيب الذي أتي به فتركيب فاسد. انتهى.

قلت: وهذا المخْطُؤُ هو المخْطُؤُ لاحتمال تقدير يمسكه جملة معترضة بين المبتدأ والجواب والخبر ممحظ، أو تقدير يمسكه بدل اشتمال على أن الأصل أن يمسكه، ثم حذفت "أن" وارتفاع الفعل، وعلى هذا فالخبر ممحظ أيضاً. والمعنى: فلو لا الغمد إمساكه موجود لسال. انتهى ملخصاً

من المغني وحواشيه. هذا إذا خرّجنا البيت على مذهب الجمهور الذي تمسك به المعترض، والمذهب الحق ما ذهب إليه ابن مالك والرماني وابن الشجري والشلوبين؛ بأن الخبر إذا كان كوناً مقيداً، ولم يدل عليه دليل، وجب ذكره، وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه. وعليه فلا وجه للتخطئة في البيت، فضلاً عن ورود مثله في الكلام الموثوق به.

وأما ذكاوة وسرعة فهمه وقوة حافظته؛ فقد رروا فيها غرائب، منها ما ينبو العقل عن تصديقه. وقد صرخ صاحب معاهد التنصيص بأن للناس في ذلك حكايات مشهورة يضعونها، وغالبها مستحيل. إلا أن اشتراط استيفاء أخباره يقضي بذكر ما وقفنا عليه منها، وعلى القارئ تمييز الغث من السمين. فمن ذلك: ما نقل عن تلميذ التبريزى أنه كان قاعداً بين يديه في مسجد بمعرفة النعمان يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه. قال: وكنت أقمت عدة سنين لم أر أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد بعض جيراننا للصلوة، فرأيته وعرفته، فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: أي شيء أصابك؟ فأخبرته خبر الرجل، فقال: قم وتكلّمْه، فقلت: حتى أتم النسق، فقال: قم وأنا أنتظرك. فقمت وكلمته بلسان الأذربيجانية شيئاً كثيراً، إلى أن سألت عن كل ما بدا لي. فلما رجعت إليه قال لي: أي لسان هذا؟ قلت: هذا لسان أهل آذربيجان. فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أني حفظت ما قلتما، ثم أعاد علي اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد، فتعجبت غاية العجب، كيف يحفظ ما لم يفهمه. ومنه: ما رواه بعض طلبته، أن جاراً له أعمى غاب عن المعرفة، وحضر رجل من بلده يبحث عنه، فوجده غائباً، ولم يمكنه المقام، فأشار عليه أبو العلاء أن يذكر

حاجته، فجعل الرجل يتكلم بالفارسية وأبو العلاء مصغٍ إليه، ولم يكن يعرفها، إلى أن فرغ من كلامه، ومضى الرجل. وقدم جاره الغائب، فجعل أبو العلاء يردد عليه ما سمعه بلفظه، والرجل يبكي ويستغيث ويتألم، إلى أن فرغ من الحديث. وسئل عن حاله، فأخْبَرَ أنه أُخْبِرَ بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله. وهذه الحكاية حكاها الوطواط في "الغرر والعرر" على غير هذا الوجه. قال: ومن عجيب حكاياته أن آبا زكريا التبريزي كان يقرأ عليه فأتاه رسول من عند أهله من تبريز، فجاء حلقة أبي العلاء، فسأل عنه، فأخبر أنه غائب في بعض شأنه. فقال له أبو العلاء: ما تريده به؟ قال: جئت بر رسالة من عند أهله، فقال: هاتِها حتى نُوصلَها إلينه. قال: إنها مشافهة. قال: فأسمِعناها حتى نُوصلها إليه. قال: إنها بالفارسية. قال: لا عليك أن تسمعناها ولا تسقط منها حرفاً. فأوردها عليه. فلما جاء التبريزي أخْبَرَ أن رجلاً جاء من تبريز ومعه رسالة من أهله، فقال: ليتكم أخذتموها منه، فإني مشوق لما يرد من أخبارهم. فقيل له: إنه قال إنها مشافهة. فتأسف لذلك، فلما رأى أبو العلاء تأسفه، قال له: لا عليك، إني سمعتها منه وحفظتها، ثم أملأها عليه. فجعل التبريزي يضحك مرّة، ويبكي مرّة! فسأله أبو العلاء عن ضحكه وبكائه؟ فقال: تارة تخبرني بما يسرني فأضحك، وتارة تخبرني بما يحزنني فأبكي. انتهى.

ومنه: ما حكاه الأمير أسامة بن مُنْقِذ، قال: كان بأنطاكية خزانة كتب، وكان الخازن بها رجلاً عَلَوِيًّا. فجلسْتُ يوماً عنده، فقال لي: قد خبأت لك خبيئة لم تسمع بمثلها في تاريخ. فقلت: وما هي؟ قال: صبي دون البلوغ ضرير يتعدد إلى، وقد حفظته في أيام قلائل عدة كتب، وذلك أني

أقرأ عليه الكراهة والكراسين مرة واحدة، فلا يستعيد إلا ما شك فيه، ثم يتلو على ما سمعه. قلت: فلعله يكون محفوظاً له! فقال: سبحان الله! كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له، ولئن كان كذلك فهو أعظم. ثم حضر المشار إليه، وهو صبي دميم الخلقة، مجذر الوجه، على عينيه بياض من أثر الجدرى، كأنه ينظر بإحدى عينيه، وهو يتقد ذكاء؛ يقوده رجل طويل أحسبه من أقاربه. فقال له الخازن: يا ولدي، هذا السيد رجل كبير القدر، وقد وصفتُ لك، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك. فقال: سمعاً وطاعة، فليختر ما يريد. قال ابن منقد: فاخترت شيئاً وقرأته عليه وهو يموج ويستزيد، فإذا مر بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره، يقول: أعد هذا، فأعيده عليه، حتى أتيت على ما يزيد على كراهة، ثم قلت: يقعن هذا من قبل نفسي. قال: أجل حرسك الله. وتلا على ما أمليته عليه، وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً، فكاد عقلي يذهب لمارأيت منه، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا إن شاء الله. وسألت عنه، فقيل لي: هذا أبو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى. هكذا يرونون هذه الحكاية، والأمير أسامة المذكور ولد سنة ٤٨٨، أي بعد موت أبي العلاء بنحو تسع وثلاثين سنة، فالقصة على هذا موضوعة، اللهم إلا أن تكون وقعت مع بعض أمراء بني منقد، ومن تقدم أسامة.

ومنه: أن سَمَّانَا حاسب عميلاً له برداع كان يثبت فيها ما يأخذ منه عند حاجته، وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما، وبعد مدة ضاعت الرفاع من السمان، فأخذ يتململ ويتأذى. وبلغ أبو العلاء خبره، فقال له: ما عليك بأس، أنا أ ملي عليك حسابه. وجعل ي ملي عليه على ما

في الرقاع رقعة رقعة، والسمّان يكتبها. ثم وجد بعد ذلك رقاعه، فإذا هي مطابقة لما أملأه أبو العلاء. وهذا إن صح، فهو غاية الغايات في قوة الحفظ والتعليق.

و قريب مما تقدم، ما روي عن أبي قحافة حين سمع البحتري ينشد قصيده التي أولها:

أفاق صبًّ من هوى فأفيقا أم خان عهداً أم أطاع شفيفاً

فلما فرغ من إنشادها، أقبل عليه باللوم والتقرير، واتهمه بسرقة شعره، ثم اندفع يعيد القصيدة حتى أتى على أكثرها. والقصة مشهورة. ومثله ما روي عن المتنبي في حفظه كتاباً عرض عليه للبيع في نحو ثلاثين ورقة. وروي مثله الإمام أبو العباس المبرّد، وهو الثقة فيما ينقل، فذكر في كامله أن ابن عباس رضي الله عنه لما أنسده عمر بن أبي ربيعة

كلمته : "أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادِ فَمُبْكِرٌ" ولم يكن سمعها من قبل، استطهرها من مرة. واحدة، وأعادها على الحضور. إلا أن ما نقل عن المعرّي يفوق كل ذلك. وذكروا أن أبو نصرة أحمد بن يوسف المنازري، دخل على أبي العلاء وهو بالشام في جماعة من أهل الأدب، وأنشد قوله:

سقا ه ماضعف الغيث العميم	وقانا لفححة الرمضاء واد
حنو المرضعات ⁽²⁾ على الفطيم	نزلنا دوحة ⁽¹⁾ فحنا علينا
الذ من المدامنة للنديم	وارشنا ⁽³⁾ على ظماما زلا

(1) ويروى: نظرل غصونه تحنو علينا

(2) ويروى: الوالدات.

(3) ويروى: وأسقانا.

تروع حصاه حالة العذاري

فقال أبو العلاء: أنت أشعر مَنْ بالشام. ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد، فدخل عليه المنازي في جماعة من أدبائِها، وهو لا يعرف منهم أحداً، فأنشدوه من أشعارهم، وأنشده المنازي:

إذا أصغى له ركب تلاحمي
وبرّ بالشجى فقيل ناحا
إذا اندرمت أجذ لها جراحها
وسکران الفؤاد وإن تصاحى
كأحداق المها مرضي صحاحا

لقد عرض الحمام لنا بسجع
شجي قلب الخلي فقيل غني
وكم للشوق في أحشاء صبّ
ضعف الصبر عنك وإن تقواوى
بذاك بنو الهوى سكري صحأً

فقال أبو العلاء: ومن بالعراق! عطفاً على قوله: من بالشام. والراجح
عندى أن هذه القصة موضوعة، لا لغرابتها؛ فإن فيما تقدم في قصته مع
السمّان وغيره ما هو أغرب وأعجب، ولا يبعد على من يستظره أوراق
الحساب رقعة رقعة، أن يسمع صوت المنازي ونغمته في إنشاده، فيعيه
ويعرفه بعد ذلك من كلامه؛ بل لأن الثابت في الأبيات الميمية أنها لحمدونة^(٤)
بنت زياد الأندلسية؛ أثبتت ذلك مؤرخو الأندلس، وجزم به أبو جعفر الرعيني
الأندلسي، وهو من الرحيلين إلى المشرق. وملخص ما قاله في شرحه على
بديعية صاحبه ابن جابر: أن بعض المشارقة غرّهم بعُدُّ ديارها، وخلُوّ بلادهم
من آثارها، فانتحلوا أشياء من شعرها. ومن ذلك نسبتهم

(4) ورد اسمها في بعض التوارييخ: حمدة، وفي بعضها: حميدة، وفي بعضها: حمدونة.

أبياتها الميمية للمنازي من شعرائهم. قال: وقد رأيت بعض المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظة الموجود. انتهى. أما الأبيات الحائمة فالراجح أنها للمنازي، ونسبها الصفدي في شرحه على لامية العجم لابن قاضي ميلة. والله أعلم. وقال كمال الدين بن العديم في تاريخ حلب: بلغني أن المنازي عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبي العلاء، فلما وصل إليه أنسدَه إياها، فجعل كلما أنسدَه المصراع الأول من كل بيت، سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه. وما أنسدَه "نزلنا دَوْحَهُ فَحَنَا عَلَيْنَا" قال أبو العلاء: "حَنُوا الْوَالِدَاتُ عَلَى الْفَطِيمِ". فقال المنازي: إنما قلت على اليتيم. فقال أبو العلاء: الفطيم أحسن. انتهى، والله أعلم. قلت: الشيء بالشيء يُذْكَرُ، والحديث ذو شجون. والذي ذكره ابن العديم له نظائر، منها ما رواه طيفور في تاريخ بغداد عن عمارة بن عقيل، قال: أنسدت المأمون قصيدة فيها مدح له تبلغ مائة بيت، فابتداأت بصدر البيت فبادرني إلى قافية، فقلت: والله يا أمير المؤمنين ما سمعها مني أحدٌ قط. قال: هكذا ينبغي أن يكون، ثم أقبل علىي، فقال: أما بلغك أن عمر بن أبي ربيعة أنسدَ عبد الله بن عباس قصيده التي يقول فيها:

تشط غدرا دار جيراننا

فقال ابن عباس:

وللدار بعد غد أبعد

ثم قال المأمون: أنا ابن ذاك. وفي "تحرير التحبير" لابن أبي الإصبع أن ابن عباس لما كمل البيت، قال له ابن أبي ربيعة: هكذا والله قلت. فقال عبد الله: وهكذا يكون.

ورُوي أن جريراً والفرزدق حضراً مجلس الوليد بن عبد الملك، وعدي بن الرقّاع ينشد قصيده:

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهَّمَا فَاعْتَادَهَا
مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ السِّلَّى أَبْلَادَهَا

فلما انتهى إلى قوله: تُزِّحِي أَغَنْ كَانَ إِبْرَةَ رَوْقَه. تشغل الوليد عن الاستماع، وقطع عدي الإنعام، فقال الفرزدق لجرير: ما تراه يقول؟ فقال: أراه يستلب بها مثلاً، فقال الفرزدق: يا لُكَع! إنه سيقول: قَلْمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَّاهَةِ مَدَادَهَا. ثم عاد الوليد إلى الاستماع، وعاد عدي إلى الإنعام، فنطق بالعجز كما قال. فقال جرير للفرزدق: وَيْحَك! فكأن سمعك مخبوء تحت لسانه، فقال له: اسكت، شغلني سُكُ عن جيد الكلام، والله لما سمعت صدر بيته رَحْمُتُه، فلما أنشد عجُزَه انقلبت الرحمة حسداً. وفي رواية العقد الفريد عن الأصممي أن جريراً هو السابق لعجز البيت لا الفرزدق. وقال زكي الدين بن أبي الإصبع في "تحرير التحبير" الذي أقوله: إن بين ابن عباس وبين الفرزدق في استخراجهما العجزين كما بينهما في مطلق الفضل، وفضل ابن عباس رضي الله عنهما معلوم، وأنما أذكر الفرق فإن بيت عدي بن الرقّاع من جملة قصيدة تقدم سمعاً معظمها، وعلم أنها دالية مُردفة بألف موصولة مخرجة بألف منصوبة الروي من وزن معروف، ثم تقدم في صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشقاً لها، قد أخذ الشاعر في

تشبيه طرف قرنه مع العِلم بسواده، وفي ذلك ما يدل على عجز البيت بحيث يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حُدّاق الشعراء. وبيت عمر مفرد لم تعلم قافيته من أي ضرب هي من القوافي، ولا روئيَّه من أي الحروف، ولا حركة روئيَّه من أي الحركات، فاستخراج عجزه ارتجالاً في غاية العُسر، ونهاية الصعوبة، لولا ما أمد الله به هؤلاء القوم من الموارد التي فضلوا بها عن غيرهم. ومن حذق عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، ودقيق معرفته باختيار الكلام، جعله قافية الذي أتى به "أبْعَدْ" ولم يجعلها "أَنْزَحْ" وكان ذلك ممكناً له، لكون "أبْعَدْ" أسرع، وُلُوجًا في السمع، وأسبق الذهن، وأدخل في القلب، وأكثر استعمالاً، وأعرف عند الكافة، وبها جاء القرآن العزيز دون أنزح، وهي أحب إلى اللسان، وأولى بالبيان.

انتهى كلامه بنصه.

وقد عَنَّ لي أن أورد هنا قصيدة عَدِي بن الرِّقَاع؛ لأنها لا توجد برمتها في كتب الأدب المتداولة في الأيدي، مع تشوق كثير من الأدباء للوقوف عليها. قال عَدِي بن الرِّقَاع ي مدح الوليد بن عبد الملك أحد الخلفاء من بني أمية:

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمَا فَاعْتَادَهَا⁽⁵⁾
مِنْ بَعْدِ مَا شَمِلَ الْبِلَى أَبْلَادَهَا
إِلَّا رَوَاسِيَ كُلُّهُنَّ قَدِ اصْطَلَى⁽⁶⁾
حَمَراءً أَشْعَلَ أَهْلَهَا إِيقَادَهَا

(5) اعتادها: أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لروسها حتى عرفها، والرواية في الأغاني واللسان: شمل بدل درس. والأبلاد: جمع بلد وهو الأثر.

(6) رواية الأغاني: رواكد، بدل: رواسي، و: حمراء أشعل، بدل: جمراً وأشعل.

كَانَتْ رَوَاحِلَ لِلْقَدْوَرِ فَعُرِيَتْ
 بِشُبِيكَةِ الْحَوَرِ الَّتِي غَرَبَهَا
 وَتَنَكَّرَتْ كُلَّ التَّنَكُّرِ بَعْدَنَا
 وَلَرْبَّ وَاضِحَةِ الْجَبَنِ حَرِيدَةِ
 تَصْطَادُ بِهِجَنُهَا الْمُعَلَّلَ بِالصِّبَا
 كَالظَّبَيَّةِ الْبِكَرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَعِي
 حَضَبَتْ لَهَا عَقْدُ الْبِرِاقِ جَبَنُهَا
 كَالزَّيْنِ فِي وَجْهِ الْعَرَوَسِ تَبَذَّلَتْ
 تَزْجِي أَغَنَّ كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِيَهِ
 رَكَبَتْ بِهِ مِنْ عَالِجِ مُتَحَيِّرًا
 فَتَرَى مَحَانِيَهُ الَّتِي تَسِقُ التَّرَى
 بِمَجَرٍ مُرْتَجِزٍ الرَّوَاعِدِ بَعْجَتْ

(7) البعل: الأرض المرتفعة التي لا يصيدها مطر إلا مرة واحدة في السنة، والجماد: اليابسة التي لم يصيدها مطر ولا شيء فيها.

(8) رواية الأغاني:

ولرب واضحة العوارض طفلاً كالريم قد ضربت به أوتادها

(9) المعلل بالصبا: المشغول به المثلثي، وأقصده: رماه بسم فقتله.

(10) الأداء: جمع رند بالكسر، وهو الترب، وأكثر ما يكون في الإناث.

(11) الروق: القرن

(12) تسق: تجمع، والمراد: تكرم نباتها. والهبر: المطمئن من الأرض، وقد ضبط في لسان العرب: نبتها بالنصب وروادها بالرفع، والصواب العكس.

بَأْتَ سُعَادٌ وَأَخْلَقَتْ مِيعَادَهَا
 وَتَبَاعَدَتْ مِنَ الْمَنْعَزَ زَادَهَا
 إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصِلِّنِي حُلْتَى
 وَإِذَا الْقَرِينَةُ لَمْ تَزَلْ فِي نَجْدَةٍ
 إِمَّا تَرَى شَيْئًا تَفَسَّحُ لِمَتَّيٍ
 فَلَقَدْ تَبَيَّنَ يَدُ الْفَتَاهِ وَسَادَهَا
 وَأَصْحَابُ الْجَيْشِ الْعَرَمَرَمْ فَارِسًا
 وَقَصِيدَةٌ قَدْ بَيَّنَ أَجْمَعُ بَيْنَهَا
 نَظَرَ الْمُثْقَفِ فِي كُفَوِبِ قَنَاتِهِ
 وَلَقَدْ أَصْبَتْ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً
 فَسَرَّتْ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرُمِ
 وَبَقِيَتْ حَتَّى مَا أَسَائِلُ عَالِمًا
 صَلَى الْإِلَهُ عَلَى اِمْرِي وَدَعْتُهُ
 وَإِذَا الرَّبِيعُ تَتَابَعَتْ أَنْوَاهُ
 تَرَزَّلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا
 أَوْلًا تَسْرِي أَنَّ الْبَرِيَّةَ كُلُّهَا
 وَلَقَدْ أَرَادَ اللَّهُ إِذَا لَاكَهَا

(13) الحُلْة بالضم: الخليل، يستوي فيه المذكر والممؤنث، لأنه في الأصل مصدر.
 (14) لامه: غيره.
 (15) خاصرة: بلدية من أعمال حلب، وهي قبة كورة الأحسن.
 (16) رواية العقد الفريد والأغاني: ولقد أراد الله.

وَعَمَّرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْبَلَتْ
 وَأَصَبَتْ فِي أَرْضِ الْعَدُوِّ مُصِيَّةً
 نَصْرًا وَظَفَرًا مَا تَنَاوَلَ مِثْلَهُ
 غَلَبَ الْمَسَامِيقَ الْوَلِيدُ سَماَحَةً
 تَأَتَّى هُوَ أَسْلَابُ الْأَغْرِيَةِ عَنْوَةً
 وَإِذَا رَأَى نَازَ الْعَدُمْ تَضَرَّمَتْ
 بِعَرْمَمِ يَئِدُ الرَّوَابِيِّ ذِي وَغَيِّ
 أَطْفَأَتْ نَيرَانَ الْعَدُوِّ وَأَوْقَدَتْ
 قَبَدَتْ بَصِيرَتُهَا لِمَنْ تَبَعَ الْهُدَى
 وَإِذَا غَدَا يَوْمًا بِنَفْخَةِ نَائِلٍ
 وَإِذَا جَرَتْ خَيْلٌ تُبَادِرُ غَايَةً

(17) رواية الأغاني: وكفت، بدل: ونفيت.
 (18) الطرف والطريف والطارف: أهال المستفاد. والتلايد: القديم الأصلي.
 (19) العتاد بالفتح: العدة والأهبة، رواية العقد الفريد:
 لم تأتِ الأسلاب إلا عنوة غصباً ويجمع للحروب عتادها

(20) الوعي بالمهملة: الجلبة، والحرقة بالفتح: الأرض الصلبة الغليظة. وللمعنى: أن الآل الذي يكون
 في الضحي رفع جبارها، فإن رأها الناظر رأى أنها قد طالت وعظمت.
 (21) في الأصل: وإذا عدت خيلاً يبادر غاية.

وقصيدة قد بثَ أجمعُ بينها حتى أَقْوَمْ مِيلَهَا وسِنادَهَا

قال له كثيرٌ: لو كنت مطبوعاً أو فصيحاً أو عالماً، لم تأتِ فيها بميل ولا سناد،
فتحتاج إلى أن تقومها. ثم أنشد:

نظر المثلث في كُعوب قناته حتى يُقيِّم ثقاوْهَهُ مُنادَهَا

فقال كثيرٌ: لا جرم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاء، ولأن تكون
مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها. ثم أنشد:

وعلمت حتى ما أَسْأَلَ واحِدًا عن عِلْمٍ واحِدَةٍ لِكَيْ أَزْدَادَهَا

فقال كثيرٌ: كذبت وربُّ الْبَيْتِ الْحَرَامَ، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن يسألك عن
صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك، وما كنتَ قطْ أحمق منك الآن حيث
تظن هذا بنفسك. فضحك الوليد ومنْ حضر، وقطع عدي بن الرّقّاع حتى ما
نطق.

وروي عن محمد بن المنجّم أنه قال: ما ذُكر لي أحد فأحببت أن أراه، فإذا
رأيته أمرت بصفعه؛ إلا عدي بن الرّقّاع، لقوله:

وعلمت حتى ما أَسْأَلَ... الْبَيْتَ. فكنت أعرض عليه أصناف العلوم
فكُلُّمَا مَرَّ بِهِ شَيْءٌ، وَلَا يَحْسِنَهُ، أَمْرَتُ بِصَفْعِهِ.

مؤلفاته

قال أبو العلاء: لزمت مسكنى منذ سنة أربع مائة، واجهدتُ على أن أتوفّر على تسبيح الله وتحميده، إلى أن أضطر إلى غير ذلك، فأمليتُ أشياء، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن أبي هاشم، أحسن الله معونته، فألزمني بذلك حقوًقاً جمة وأيادي بيضاء؛ لأنه أفنى في زمنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يُحسن له الجزاء، ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء. انتهى.

وقد رتبنا أسماء هذه الكتب على حروف المعجم، تسهيلاً على المطالع! واعتمدنا فيما ذكرناه منها على ما في "إرشاد الأريب" لياقوت، و "كشف الظنون" لمصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب Члби، وغيرهما من كتب التراجم والأخبار. وتكلمنا على ما وقفنا عليه منها بما يتسع له هذا المختصر:

- ١) أدب العصفورين: رسالة ذكرها ياقوت، وصاحب كشف الظنون.
- ٢) استغفر واستغفرى: كتاب في المنظوم، به نحو عشرة آلاف بيت، ويقع في مائة وعشرين كراسة. ذكره ياقوت، وأهمله صاحب الكشف.

(٣) إسحاف الصديق: في ثلاثة أجزاء، يتعلّق بكتاب الجمل في النحو للزجاجي المتوفى سنة ٢٣٩هـ. ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.

(٤) إقليد الغaiات: كتاب لطيف، قصره على تفسير ما جاء من اللغز في كتابه: الفصول والغايات. ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.

(٥) الأimali: لم يذكره ياقوت، وقال صاحبه الكشف: هو مائة كراسة ولم يُكمله.

(٦) الأيك والغضون: ذكره ياقوت وصاحب الكشف في حرف الكاف في الكتب، ويسمى أيضًا بالهمزة والردف؛ لأنّه بناء على إحدى عشرة حالة للهمزة في حال إفرادها وإضافتها. مثاله: سماء بالرفع والنصب والخض، سماء بالتنوين، سماؤه سماءه سمائه بالحركات الثلاث مع الإضافة للضمير المذكر، سماؤها سماءها سمائها بها مع الإضافة للمؤنث، ثم همزة بعدها هاء ساكنة مثل: عباءة وملاءة. فإذا ضربت الإحدى عشرة في حروف المعجم الثمانية والعشرين، خرج من ذلك ثلاث مائة فصل وثمانية، وهي مستوفاة في هذا الكتاب. وذكر فيه أيضًا الأداد الأربعة بعد ذكر الألف. ومبناه على العظات وذم الدنيا. ومقداره ألف ومائتا كراسة، تقع في اثنين وتسعين جزءاً كما ذكر ياقوت. وقال ابن خلkan: بلغني أن له كتاباً سماه الأيك والغضون، وهو المعروف بالهمزة والردف، يقارب المائة جزءاً في الأدب؛ وحكي لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة، فقال: لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد.

- ٧) بحر الزجر: يتعلّق بكتاب . "زجر النابح" ذكره ياقوت، ولم يذكر في كشف الظنون.
- ٨) تاج الحرّة: في عظات النساء خاصة، وتختلف فصوله، فمنها ما يجيء بعد حرفه الذي يثبت ثبات الروي ياء التأنيث، كقوله: شائي وتشائي وتسائي ونحوها، ومنه ما هو مبني على الكاف، نحو غلامك وكلامك، ومنها ما يجيء على تفعلين، مثل: ترغبين وتذهبين. وأنواع هذا الكتاب كثيرة، ويقع في أربع مائة كراسة، كما في ياقوت وكشف الظنون.
- ٩) تضمّين الآي: لم يذكره صاحب كشف الظنون، وقال ياقوت: هو كتاب مختلف الفصول؛ فمنه طائفة على حروف المعجم، وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال في الهمزة: بناء ونساء، وفي الباء: ثياب وعباب. ثم على هذا إلى آخر الحروف. ومنه فصول على فاعلين وعلى فاعلون وغير ذلك. والغرض أن يأتي بعد انقضاء الكلام بآية من الكتاب العزيز أو بعض آية، وربما يجيء بأيّتين. قال: والسبب في تأليفه أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه، ولم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظات، والبحث على تقوى الله، فأملى هذا الكتاب، ويقع في أربع مائة كراسة.
- ١٠) تعلّيق الجليس: مما يتصل بكتاب الجمل للزجاجي، في جزء واحد. ذكره ياقوت، ولم يذكر في الكشف.
- ١١) تفسير خطبة الفصيح: فسر فيه غريب كتابه خطبة الفصيح. ذكره ياقوت، وصاحب الكشف.
- ١٢) تفسير الهمزة والردف: في جزء. ذكره ياقوت ولم يُذكر في الكشف.

- ١٣) جامع الأوزان: فيه شعر منظوم على معنى يعم به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل، بجميع ضروبها، ويدرك قوافي كل ضرب، به تسعه آلاف بيت، ومقداره ستون كراسة في ثلاثة أجزاء. ذكرت ياقوت وصاحب الكشف.
- ١٤) الجلي والحلبي: هكذا ورد في نسخة ياقوت، وكتب مصححه: لعله "الجلي الحلبي" سأله فيه صديق له من أهل حلب، يُعرف بابن الحلبي، مجلد واحد، وعشرون كراسة. ولم يذكر في كشف الظنون.
- ١٥) الحقير النافع: مختصر في النحو. خمس كراسات، كما في ياقوت والكشف، وذكره السيوطي في بغية الوعاة.
- ١٦) خادم الرسائل: في تفسير ما تضمنته رسائله من الغريب، سواء كانت من الرسائل الطوال، كالغفران والملائكة ونحوهما، أو ما دونها. ولم يذكر فيه إلا ما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب، وسماه صاحب كشف الظنون: خادمة الرسائل.
- ١٧) خطبة الفصيح: تكلم فيه عن أبواب الفصيح في خمس عشرة كراسة، كما في ياقوت والكشف، وله تفسير غريبه، وقد مضى ذكره.
- ١٨) خطب الخيل: تكلم فيه على ألسنتها في عشر كراسات، كما في ياقوت والكشف.
- ١٩) خماسية الراح: قال ياقوت: هو كتاب لطيف في ذم الخمر، ومعنى هذا الوسم أنهبني على حروف المعجم، فذكر لكل حرف تمكن حركته

خمس سجعات مضمومات، وخمساً مفتوحات، وخمساً مكسورات، وخمساً موقفات. يكون مقداره عشر كراسات.

وتصحف اسمه على صاحب كشف الظنون بحماسة الراوح، فذكره في حرف الحاء.

٢٠) دعاء الأيام السبعة: ذكره ياقوت.

٢١) دعاء ساعة: ذكره أيضًا.

٢٢) دعاء وحرز الخيل: ذكره أيضًا.

٢٣) ديوان الرسائل: وهي ثلاثة أقسام كالغفران والسنديّة ونحوهما، وسنذكر منها ما وقفنا على اسمه. ومنها ما دون تلك، كالرسالة الإغريضية، ورسالة المَنِيج. ومنها قصار نحو ما تجري به العادة في المكاتب. قال ياقوت وصاحب كشف الظنون: إنها تقع جمعيها في ثمان مائة كراسة. وقد طبع قسم من هذه الرسائل في بيروت وأكسفورد، وعندى منها نسختان مخطوطتان في إحداهما مكاتبات جرت بينه وبين ابن أبي عمران داعي الدعاة بمصر، وهي التي لخصها ياقوت في إرشاد الأريب، وقد مضى أنه شرح رسائله في كتابه: خادم الرسائل.

٢٤) ذكرى حبيب: ذكره صاحب الكشف، وقال ياقوت: إنه مختصر في غريب شعر أبي تمام، سأله فيه صديق له من الكتاب. مقداره ستون كراسة في أربعة أجزاء. وقال ابن خلكان: إنه اختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه: ذكرى حبيب. وفي مقدمة شرح ديوان أبي تمام للتبريزي أن أبو العلاء إنما ذكر في هذا الكتاب الأبيات المشكّلة من شعر أبي تمام متفرقة.

ومن فوائد التي نقلها عنه أن شعر أبي تمام إنما أغلق؛ لأنه لم يؤثر عنه، فتناقلته الصّعفة من الرواة، والجهلة من الناسخين، فبدلوا الحركة بالحركة، وأوقعوا الناظر بما جَنَوْهُ في أم أَدْرَاص^(١) وتُغْلِسَ، وغيروا الأحرف بسوء التصحيف، فغادروا الفهم خابطاً في عشواء؛ لأن تغيير الضمة إلى الفتحة والكسرة، يُشِبُّ الفطن في حِبَالَة؛ فاما نقل الحاء إلى الخاء، والدال إلى الذال، فيحدث عنه إلباس، ويقرن به بلادة وإشكاس.

٢٥) الراحلة: ثلاثة أجزاء في تفسير لزوم ما لا يلزم. ذكره ياقوت فقط.

٢٦) راحة اللزوم: يشرح فيه ما في لزوم ما لا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة، كما في ياقوت والكشف.

٢٧) الرسالة الحضية: كذا ذكرها ياقوت.

٢٨) الرسالة الزعفرانية: ذكرها صاحب الكشف ومذكرها ياقوت.

٢٩) الرسالة السنديّة: ذكرت في ياقوت والكشف.

٣٠) رسالة العروض: هكذا في كشف الظنون، وفي نسخة ياقوت: الفرض بالفاء، ولعله القرْضُ أو القرِيض بالقاف.

٣١) رسالة على لسان ملَك الموت: ذكرها ياقوت، ولا أدرى إن كانت رسالة الملائكة أو غيرها.

٣٢) رسالة الغفران: كتبها لعلي بن منصور الحلبي المعرف بابن القارج، جواباً على رسالة أرسلها له يذكر بها شوقة إلى لقائه، وينحي فيها على

(١) أم دراس: الدهنية. ويقال: وقع في وادي. تغلس، غير مصروف كتخيب وتهلك، في داهية منكرة، والأصل فيه أن الغارات كانت تقع بكرة بغلس.

الزنادقة، ويتنقص الوزير المغربي صديق أبي العلاء. فأجابه برسالة الغفران، وضمنها فنوناً شتى من اللغة والأدب، ونحًا فيها نحوًا غريبًا، فاستطrod إلى الجنة، فوصفها وصفًا يُشَوِّق النفوس إليها، ويرغبها في نعيمها، وذكر النار وأهواها بطريقه لا تسأمها النفس. وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٣٢٥، وعندى منها نسختان مخطوطتان، ويدار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة من كتب الأستاذ الشنقيطي - رحمه الله - وفي القسطنطينية العظمى نسخة أخرى في خزانة الكبوري. وكانت في شوق لرسالة ابن القارح المذكورة، حتى ظفرت بها في مجموع نفيس وقع لي.

(٣) رسالة الملائكة: اقتصر ياقوت وصاحب الكشف على ذكر اسمها، وقال أبو الفضل المؤيد بن الموفق الصاحبي في كتاب: "الحكم البوالغ، في شرح الكلم النواوغ" رسالة الملائكة، ألفها أبو العلاء المعري على جواب مسائل تصريفية ألقاها إليه بعض الطلبة، فأجاب عنها بهذا الطريق الظريف المشتمل على الفوائد الأنثقة. انتهى. قلت: وأسلوبه فيها غريب، افتحها معتذرًا للسائل بكبر سنه، وبعد عهده بمسائل النحوية والصرفية، وقربه من الموت. ثم بدأ في الجواب فقال: "أفتراني أدفع ملوك الموت، فأقول: أصل ملك مالك... إلخ" فساق هذا البحث في مناقشه مع الملك، وأنى بشواهد من كلام العرب، إلى أن انتقل إلى بحث آخر، فقال: "فيقول الملك: من ابن أبي ربيعة وأبو عبيدة، وما هذه الأباطيل؟ إن كان لك عمل صالح فأنت سعيد، وإنما فاخصًا وراءك، فأقول: فأمهلني حتى أخبرك بوزن عزائيل، وأقيم الدليل على أن الهمزة فيه زائدة... إلخ". ثم انتقل إلى ناكر

ونكير، فباحثهما عن اسميهما، وهكذا حتى أتم الإجابة عن الأسئلة في هذا السياق العجيب. وعندني من هذه الرسالة نسخة مخطوطة ضمن مجموع، وبدار الكتب الأزهرية بالقاهرة أخرى، وقد أوردها السيوطي بتمامها في كتابه *الأشباء والنظائر النحوية*.

٣٤) رسائل المعونة: وهي التي كتبها على لسان غيره. ذكرها ياقوت وصاحب *الكشف*.

٣٥) رسل الرايموز: نحو ثلاثين كراسة. ذكره ياقوت.

٣٦) الرياش المصطني: فيشرح مواضع من الحماسة الرياضية، ألفه للأمير مصطفى الدولة أبي غالب كليب بن علي، وكان أنفذ إليه نسخة من هذه الحماسة، وسأله أن يخرج على حواشيها شيئاً مما لم يذكره أبو رياش، فخشى أن تضيق الحواشي عن ذلك، فصنع هذا الكتاب في أربعين كراسة. ذكر في ياقوت والكشف.

٣٧) زجر النابح: يتعلق بلزوم ما لا يلزم، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم، يريد بها التشرُّر والأذية، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه بإنشائه، فأنشأه وهو كاره. مقداره أربعون كراسة في جزء واحد. ذكره ياقوت وصاحب *الكشف*. وله كتاب يتعلق بهذا ورد اسمه في نسخة ياقوت "بحر الزجر" وقد مضى ذِكره.

٣٨) السادس: أنشأ في تفسير غريب كتابه الفصول والغيارات، وما فيه من اللغز. مقداره عشرون كراسة. ذكره ياقوت وصاحب *الكشف*.

٣٩) السجعات العشر: موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سجعات في المواقع. ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

٤٠) سجع الحمام: تكلم فيه على لسان حمام أربع، وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنف له تصنيفاً يذكره فيه، فأنشأ هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمام في العضة والبحث على الزهد. مقداره ثلاثون كراسة، في أربعة أجزاء. ذكر في ياقوت والكشف.

٤١) السجع السلطاني: يشتمل على مخاطبات الملوك والوزراء وغيرهم من الولاة. سأله فيه بعض من خدم السلطان، وارتقت طبقته، ولم يكن له قدم في الكتابة، فطلب أن يُنشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، ولا يشعر بما يريد لقلة خبرته بالأدب. فألف له هذا الكتاب. قال ياقوت: في أربعة أجزاء، وقال صاحب الكشف: إنه ثمانون كراسة.

٤٢) سجع الفقيه: جزء في ثلاثة كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

٤٣) سجع المضطرين: كتاب لطيف، عمله لرجل تاجر مسافر، يستعين به على أمور دنياه، ذكره ياقوت وصاحب الكشف.

٤٤) سقط الزند: وهو ديوان يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف بيت، ضمنه شعره في صباح. وسماه بذلك لأن السقط أول نار تخرج من الزند، ف شبّه شعره الأول به. قال التبريزي: لما حضرت أبا العلاء، قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة، وشيئاً من تصانيفه، فرأيته يكره أن يقرأ عليه شعره في صباح، الملقب بسقوط الزند، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قرئت

عليه، ويقول معتبراً عن تأييه، وامتناعه من سماع هذا الديوان: مدحت نفسي فيه، فلا أشتهي أن اسمعه. وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه. انتهى. ولهذا الديوان شروح، أولها شرح لأبي العلاء نفسه سماه "ضوء السقط" وهو غير وافي، نقله عنه التبريزى، وأوضح مشكلاته، وذكر اللغة الغربية، واقتصر في تفسير المعانى على ما لا بد منه. ثم تناوله أبو يعقوب يوسف بن ظاهر النحوى، فأصلحه وزاد فيه، وسماه: "التنوير"، وطبع بمصر غالباً من اسم مؤلفه. ومن شرح هذا الديوان شرح الفخر الرازى، و "ضرام السقط" لمجد الدين أبي الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمى المشهور بصدر الأفضل النحوى، وقفـت على نسخة منه في خزانة آل رفاعة بالقاهرة "الزوايد" لأبي رشاد الإخسيكتى، و "العمدة" و لابن البارزى، وشرح ابن السید البطليوسى وهو عزيز الوجود، وقعت لي منه أوراق من نسخة قديمة، فإذا به شرح على ديوان ممزوج من سقط الزند واللزوميات. وقد انتقد أبو بكر بن العربي على مواضع منه، فرد عليه ابن السید في رسالة لطيفة، وقفت عليها وهي عندي، وللشيخ تاج الدين بن عبد الرحمن شرح على قصيدة لامية من هذا الديوان مطلعها:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل

سماه: "مراقي العلا، في شرح لامية أبي العلا" وهو عندي في مجموع.

٤٥) سيف الخطيب: هكذا في الكشف، وفي ياقوت "سيف الخطبة" وهو جزءان . يشتمل على خطب السنّة، فيه خطب للجمع والعيدان

والخسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح، وهي مؤلفة على حروف من حروف المعجم، فيها خطب عمادها الهمزة، وخطب بنيت على الباء، وخطب على الدال، وعلى الراء، وعلى اللام، وعلى الميم، وعلى النون، وتركت الجيم والخاء وما يجري مجراهما؛ لأن الكلام المقول في الجمادات ينبغي أن يكون سجسجاً⁽²⁾ سهلاً. مقداره أربعون كراسة، وكان سأله فيه رجل من المتظاهرين بالديانة.

٤٦) شرح الرسالة الإغريضية: لم يذكره ياقوت، وذكره صاحب الكشف. مقداره عشرون كراسة. وللشيخ إبراهيم الفصيح بن صبغة الله الحيدري، من علماء أواخر القرن الثالث عشر، شرح على الرسالة الإغريضية، سماه: النوادر الحكمية والأدبية، ألفه برسم مصطفى باشا بن إبراهيم بن محمد علي والي مصر، وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة.

٤٧) شرح كتاب سيبويه: في النحو، في خمسين كراسة، ولم يتمه. كما في ياقوت والكشف وبغية الوعاة.

٤٨) شرف السيف. قال ياقوت: عمله لنشتكن الدرزي الذي كان مقيناً بدمشق، والسبب فيه أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام، ويختفي المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل. وهو في جزءين. وفي كشف الظنون: "شرف السلف عشرون كراسة عمله لأمير الجيوش".

⁽²⁾ السجسج: الذي بين الصلابة واللين. والهواء السجسج: ليس بحار ولا بارد.

٤٩) الصاھل والشاھج: يتکلم فیه علی لسان فرس وبغل. مقداره أربعون
کراسة، صنفه لأبی شجاع فاتک الملقب بعذیز الدوّلة والی حلب من قبل المصرین،
وكان رومیاً. ذکره یاقوت، وصاحب الكشف في الرسائل. وفي خطط المقریزی ج ٢
ص ١٥٤ روایة رواها أبو العلاء في الصاھل والشاھج، للبيتین: زر وادی القصر...
إلخ.

والشاھج: البغل؛ وشحیجه، وشھاجهُ: صوته.

٥٠) ضوء السقط: فسر فیه غریب دیوانه سقط الزند، مقداره عشرون کراسة.
ذکره یاقوت وصاحب الكشف وابن خلکان. وقد فَصَلَ بعضهم الدرعیات من
سقط الزند، وطبعها على حدة في بيروت، وسماتها: ضوء السقط، وهو خطأ ينبغي
أن یُتَبَّعَ له.

٥١) الطَّلْلُ الطاهري: أنساھ لرجل یُعرَفُ بأبی طاهر. ذکره یاقوت، ولم یذكر في
الكشف.

٥٢) ظہیر العضدي: یتصل بالكتاب المعروف بالعضدي في النحو. ذکره یاقوت
صاحب الكشف والسيوطی.

٥٣) عبَثُ الولید: یؤخذ من عبارة ابن خلکان أنه اختصر فیه
شعر البحتری وشرحه، واسم الكتاب لا يدل على ما قال. وقال غيره: إنه
يتضمن أغاليط البحتری. وقال یاقوت: إنه یتصل بشعر البحتری، وكان
سبب إنشائه أن بعض الرؤساء أنفذ نسخة ليُقابَلَ بها، فأثبتت ما جرى من
الخلط ليعرض ذلك عليه. وهو جزء واحد في عشرين کراسة. أقول: قد
وقد وقعت لي نسخة من هذا الكتاب، فوجدتھا كما قال یاقوت، والخطأ الذي

يذكره أبو العلاء تارة يكون من النسخة المرسلة إليه، وتارة من الناظم نفسه. ولهذا سماه بعثت الوليد تورية باسمه؛ لأن البحترى اسمه الوليد. والوليد أيضاً الصبي، فكانه قال: لعب الصبي وخلطه. ورتب فيه الأبيات التي تعرض لها على حروف المعجم باعتبار قوافيها، وله فيه فوائد وآراء؛ كقوله في بيت البحترى في وصف فرس:

أحواله للرُّسْتَمِينَ⁽³⁾ بفارس وجادوه للتبَّاعِينَ بمَوْكَلٍ⁽⁴⁾

قال: يروى الرُّسْتَمِينَ على الجمع وكذلك التُّبَاعِينَ، ويروى بالثنية، والجمع أشبه؛ لأنه قال: أحواله، فجَمَعَ، وكذلك قال جدوده. فَإِنْ تكون الأخوال والجدود ملوك كثيرة أشبه من أن تكون ملكين. انتهى كلامه. قلت: وقد يقال أيضاً في ترجيح ما رجحه أن لا وجه لتصحیص اثنين من تابعة اليمن بالذكر؛ لأنه لم يسمع عن اثنين مخصوصين منهم امتاراً بشهادة تصرف إليهما الأذهان، إذا ذكر التُّبَاعَان، وما يقال فيهما يقال في الرستمين، فرواية الجمع أرجح وأقرب إلى الصواب.

٤٥) عظات السور: ذكره ياقوت، ولم يتكلم عليه.

٥٥) العظة والزهد: لم يذكره ياقوت، وذكره صاحب الكشف في حرف الكاف في الكتب، وقال: مائة وعشرون كراسة.

(3) رُسْتَم: بضم الراء وسكون السين وفتح المثلثة الفوقية، وقد تُضم.

(4) موكل: موضع، ولا نظير له إلا مورق اسم ملك للروم وموزن وهو مهيب وموظب وموحد، والقياس فيما كانت فاءً حرفاً علة أن يكون المفعول منه مكسور العين، مثل موعد ومورد، ولكن جاءت هذه شاذة.

٥٦) عن الجمل، قال ياقوت: يتصل بكتاب الزجاجي، عمله لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم، وهو آخر شيء أملأه. وفي كشف الظنون أنه شرح لشواهد جمل الزجاجي لم يتم، وكذلك في بغية الوعاة للسيوطى.

٥٧) الفصول: لم يذكره ياقوت، وذكره صاحب الكشف فقال: إنه غير الفصول والغايات، وهو أربع مائة كراسة.

٥٨) الفصول والغايات: هو الكتاب الذي زعم شأنئوه أنه عارض به القرآن الكريم، وسماه الفصول والغايات في معارضة السور والآيات، وسنُشبع القول في هذا الزعم عند الكلام على معتقده. وليس في هذا الكتاب إلا عظات ونصائح، وأمراد بالغايات القوافي؛ لأن القافية غاية البيت أي منتهاه، وهو موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف؛ لأن فواصله مبنية على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألف، ومن المحال أن يجمع بين ألفين. ولكن تجيء الهمزة وقبلها ألف، مثل العطاء والكساء، وكذلك الشراب والسراب في الباء، ثم على هذا الترتيب، وليس حروفه المبني عليها مستوى الإعراب، بل تجيء مختلفة، وفيها ما يجيء على نسق واحد. وقيل: إنه بدأ فيه قبل رحلته إلى بغداد وأمه بعد عوده إلى المعرفة، ومقداره مئة كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف. ويتعلق بهذا الكتاب: إقليد الغايات، والسادن، وقد مر ذكرهما.

٥٩) فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. ضمنه بعض فضائله، ذكره ياقوت فقط.

- ٦٠) قاضي الحق: يتصل بكتاب الكافي في النحو لأبي جعفر النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ ذكر في ياقوت والكشف.
- ٦١) القائف: ذكره صاحب الكشف في حرف الكاف في الكتب، وسقط من نسخة ياقوت المطبوعة، إلا أن في كلامه على كتابه المسمى هنار القائف دلالة على أن له كتاباً بهذا الاسم.
- ٦٢) اللامع العزيزي، في شرح شعر المتنبي. صنَّفه للأمير عزيز الدولة ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ٿماں، مقداره مائة وعشرون كراسة. ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن خلکان وغيرهم، ومنه نسخة بخزانة لاله لي بالقسطنطينية رقمها "١٨٢٥".
- ٦٣) لزوم ما لا يلزم: هو ديوان كبير مرتب على حروف المعجم، يذكر كل حرف بوجوهه الأربع: الضمة والفتحة والكسرة والسكون. ومعنى لزوم ما لا يلزم، أنه يتلزم قبل الروي حرفاً إذا غير لم يكن مُخِللاً بالنظام. قال في خطبته: إنه ذكر فيه ما هو تمجيد الله الذي شرف عن التمجيد، أو تذكير للناسين، وتنبيه للغافلين، أو تحذير من الدنيا؛ فإن جاوز المشرط، فإن الذي جاوز إليه قول عريٌ من المين. وهو أحد كتبه التي تكلموا فيها، وسنفصل القول فيه عند الكلام على معتقده وشعره. طُبع بالهند سنة ١٣٠٣ وبمصر ١٨٩٥ ميلادية. وكان الأديب الفاضل الشيخ أحمد الفحماوي النابلسي، سنة ١٨٩١ نزيل مصر رحمه الله تعالى، مشتهرًا بكتابه نسخ من هذا الكتاب، يتحرى فيها الصحة، ويطرزها بالحواشى المفيدة، ثم يبيع النسخة بعشرين ديناراً مصرىً، فيتنافس في اقتناصها أعيان

مصر وسراطها، وعندى منها نسختان. ووّقعت لي نسخة مخطوطة من مختصرله، اسمه: مختار لزوم ما لا يلزم، تنقص أوراقاً من أولها، ويبيتدىء ما فيها من أثناء قافية الباء المضمومة، ولذهبات أولها لم أقف على اسم مؤلفها. ولأبى العلاء شرح عليه سماه: راحة اللزوم، وله أيضاً: زجر النابع، وبحر الزجر، والراحلة. وكلها تتعلّق باللزوميات، وقد مضى ذكرها.

٦٤) مبهج الأسرار: لم يذكره ياقوت، وقال صاحب كشف الظنون: لأبي العلاء، ولم يقل المعرفي، واسم الكتاب يدل على أنه لغز.

٦٥) مثقال النظم: في العروض. ذكره ياقوت والسيوطى في بغية الوعاة.

٦٦) مجيد الأنصار، في القوافي. ذكره ياقوت.

٦٧) المختصر الفتحي: يتصل بكتاب محمد بن سعدان، صنفه لرجل يكى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم، وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من حمّع كتبه، فألزمته بذلك حقوقاً حمة، وأبادى كثرة. كما ذكر باقوت.

(٦٨) معجز أحمد: لم يذكره صاحب الكشف، ويذهب بعضهم إلى أنه هو اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبي. ويستفاد من عبارة ابن خلkan أنه غيره، وأن أبو العلاء اختصر ديوان المتنبي، وتكلم على غريبه، وذكر سرقاته وما أخذ عليه في هذا الكتاب. ومن فوائده التي ذكرها فيه، ونقلها عنه أصحاب البديع، استنباطه لنوع من البديع سماه "الطاعة والعصبان" عند كلامه على قول المتنبي :

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

فَزُعمَ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ وَهُوَ مُسْتِيقَطٌ لِيُطَابِقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَاقِدٍ، وَلَا عَصَاهُ
الْوَزْنُ عَدْلٌ عَنْهُ إِلَى قَادِرٍ، وَفِيهِ مَعْنَى مُسْتِيقَطٌ وَزِيادةٌ، فَأَطَاعَهُ التَّجْنِيسُ
الْمَقْلُوبُ بَيْنَ قَادِرٍ وَرَاقِدٍ، وَعَصَتْهُ الْمَطَابِقَةُ بَيْنَ رَافِدٍ وَمُسْتِيقَطٍ. وَرَدَ عَلَيْهِ زَكِيُّ
الْدِينِ بْنِ أَبِي الْإِصْبَعِ بِأَنَّ لِيْسَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ، لِإِمْكَانِ أَنْ يَقُولَ: وَهُوَ
سَاهِرٌ بَدْلٌ قَادِرٌ. اَنْتَهَى. وَجَلَّ مِنْ أَنَّهُ بِهَذَا النَّوْعِ مِنْ أَصْحَابِ الْبَدِيعِيَّاتِ، لَمْ تَسْلِمْ
أَيْبَاتِهِمْ مِّنْ مُثْلِ هَذَا النَّقْدِ.

(٦٩) ملقي السبيل: مختصر فيه نظم ونثر، ذكره ياقوت وصاحب الكشف، ووُقعت لي نسخة منه، فوجده في المواقع مرتبًا على حروف المعجم، يذكر في كل حرف فقرات من النثر، ثم يتبعها بأبيات من القافية؛ كقوله في حرف الحاء: إن ابن آدم شحيح، سوف يمرض من القوم صحيح، يعصف بعقله الريح؛ إن ذلك لهو التبرير.

يَا أَيُّهَا الْمَامِسُكُ الشَّحِيجُ
مَالِكُ لَمْ تَنْتَفِعْ بِعَقْلِ
إِنْ شَيْدَ الْقَصْرِ فِي سَرُورِ
وَيُطْرِحُ الْهَمَ بِالْمَنَايَا

٧٠) منار القائف: في تفسير ما جاء من اللغز والغريب في كتابه القائف، مقداره عشر كراريس. ذكره ياقوت.

٧١) المواعظ الست: ذكره يعقوب وصاحب الكشف. ومعنى هذا الاسم أن الفصل الأول منه في خطاب رجل، والثاني في خطاب اثنين، والثالث في

خطاب جماعة، والرابع في خطاب امرأة، والخامس في خطاب امرأتين، والسادس في نسوة. في خمس عشرة كراسة.

٧٢) نشر شواهد الجمهرة: لم يذكر في الكشف، وقال ياقوت: إنه في ثلاثة أجزاء،
وتم يوم.

٧٣) نظم السور: ستة كراريس، ذكره صاحب الكشف، وجاء في نسخة ياقوت:
تظلم السور، بامثلة الفوقة، ولعله تحريف.

٧٤) وقعة الوعظ: وهكذا في نسخة ياقوت، وقال مُصحّحه: لعله برقة الوعاظ،
و لم يذكره صاحب كشف الظنون. وله سوى ذلك كتب في العروض والشعر بدأ بها
و لم تم. ورأيت بعض العصرىين ينسب إليه كتاباً اسمه الفصوص، ويزعم أنه
سقط منه في الدجلة، وهو يحمله إلى أحد الأمراء ببغداد، فقال فيه بعض
الشعراء:

قد غاص في النهر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه أبو العلاء بقوله:

عاد إلى معذنه إما توجد في عقر البحار الفصوص
صواب أن هذا الكتاب لأبي العلاء صاعد اللغوي البغدادي، أحد الراحلين
الأندلس، وبها ألفه، ووقيعت له هذه القصة. وسببها أنه استأذن
من المنصور بن أبي عامر في إملاء كتاب بجامع مدينة الزهراء، يفوق
الي أبي علي القالي التي أملأها بقرطبة في دولة عبد الرحمن وابنه الحكم،
شرط أن لا يورد فيه خبراً أورده القالي. فأذن له في ذلك، فأتم كتاب

الفصوص، وما أكمله تتبعه أدباء الوقت، فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم، ولا خبر ثبت لديهم. وكان صاعد متهمًا بالكذب جوينًا عليه، فأراد المنصور امتحانه، فعمد إلى كارييس بيض وأمر أن تُجلَّد وتزال جَدَّتها حتى يتواهم فيها القِدَم، وترجم عليها كتاب النكت تأليف أبي الغوث الصناعي، فترامى إليه صاعد حين رأه، وجعل يُقبلُه، ويقول: إِي وَلَهُ، قرأتَه بالبلد الفلافي على الشِّيخ أَبي فلان، فأخذَه المنصور من يده خوفًا من أَنْ يفتحَه، وقال: إِنْ كُنْتَ قد قرأتَه كَمَا تزعمَ، فعلام يحتوي؟ فقال: وأَبِيكَ لَقْدَ بَعْدَ عهْدِي بِهِ، وَلَا أَحْفَظُ الْآنَ مِنْهُ شَيْئًا، ولكنه يحتوي على لغة منتشرة لا يشوبها شعر ولا خبر، فقال له المنصور: أَبَعْدَ اللَّهَ مِثْلَكَ، فما رأيت أَكَذَّبَ مِنْكَ، وأَمْرَ بِإِخْرَاجِهِ وَإِلَقاءِ كِتَابِ الْفَصُوصِ فِي النَّهَرِ، فقال فيه بعضُ الشُّعُراءِ، وأَجَابَهُ صاعد بما تقدم. قال ابن بسام: وما أَظَنَ أَحَدًا يجترئ على مثل هذا، وإنما صاعد اشترط أَلَا يأتي إِلَّا بِالغَرِيبِ غَيرِ الْمَسْهُورِ، وأَعْانَهُمْ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا كَانَ يَتَنَفَّقُ بِهِ مِنَ الْكَذْبِ. انتهى. ومن جراءته على الكذب نادرته في الخنشار، وذلك أن المنصور سأله يومًا عنه، فقال على البديهة: هو حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الأعراب، وفي ذلك يقول شاعرهم:

لقد عقدت محبتها بقلبي كما عقد الحليب الخنشار
ورواية هذه اللفظة بالخاء المعجمة والفاء هو المشهور في
كتب الأدب والتاريخ، وقد رويت بالباء الموحدة في نسختي نفح الطيب

المطبوعتين بمصر، ووردت في التي طبعت بأوروبا بالحاء المهملة والباء الموحدة،
رواية البيت فيها:

لقد عَقَدَ الْحَلِيبُ بِجَنْشَارِ
إِلَّا أَنَّ الْمُصْحَحَ ذُكِرَ بِالْحَاشِيَةِ وَرُوَدَهَا فِي بَعْضِ النَّسْخِ بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ وَالْبَاءِ
الْمُوَحَّدَةِ؛ وَفِي أُخْرَى بِالْخَاءِ أَيْضًا وَالْفَاءِ، وَهُوَ الصَّوَابُ عَلَى مَا تَرَجَّحَ عِنْدِي، وَمَا
عَدَاهُ مَحْرُوفٌ عَنْهُ. وَسُبُّبَهُ أَنَّ صَاحِبَ نَفْحِ الطَّيْبِ تَلْمِسَانِيُّ كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ،
وَقَاعِدَةُ الْمَغَارِبَةِ فِي الْكِتَابَةِ نَقْطَةُ الْفَاءِ بِنَقْطَةِ مِنْ تَحْتِهِ، فَيُظَهِّرُ أَنَّ نَسْخَةَ الْأَصْلِ
كُتِبَتْ بِخَطِّ مَغْرِبِيِّ، وَطُمِسَ الْكَاتِبُ رَأْسُ الْفَاءِ، فَظَهَرَتْ بِصُورَةِ الْبَاءِ لِمَكَانِ النَّقْطَةِ
الْتَّحْتِيَّةِ، وَتَصْحِيفُ الْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ قَرِيبٌ. وَإِنَّمَا رَجَحَتْ هَذَا الوجهُ؛
لَا شَهَادَةٌ فِي سَائِرِ الْكِتَابَاتِ كَمَا ذُكِرَتْ آنَفًا. وَيُجَوزُ أَنْ يَكُونَ الصَّوَابُ فِي أَحَدِ
الْوَجْهَيْنِ الْآخَرَيْنِ، إِلَّا أَنَّ مَثَلَ هَذَا لَا يُثْبِتُ إِلَّا بِنَصٍّ، وَلَمْ أَقْفِ عَلَى نَصٍّ فِيهِ.
وَالْخَاطِئُ أَسْهَلُ مِنْ أَنْ نَطْبِلَ فِيهِ الْكَلَامَ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ مِنْ مَفَادِ الْقَصَّةِ أَنَّ الْكَلِمَةَ
مَخْتَرَعَةٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قد علمتَ مما تقدم أن أبا العلاء كان من بيت ثراءٍ وغنىً،
والمت被迫 في مثله أن يكون مثرياً كأهله، ولكنك لو تتبعَ بقية
أخباره، وأنعمتَ النظر في أقواله عن نفسه، سواء كانت نثراً أو
شعرًا، ظهر لك أنه كان على العكس من ذلك. وحسبَ تصريحه
في إحدى رسائله إلى داعي الدعاء، بأن الذي له في السنة نيف
وعشرون ديناراً يشاركه خادمه في معظمها. وسيمر بك في هذا
الفصل شيءٌ من أشعاره المنشئة عن إملاقه وحاجته.

والحقيقة المزيلة للبس أنه كان على شيءٍ من الثروة نكب فيه قبل قفوله
من بغداد، فعاش بعد ذلك في كفاف، بدليل قوله:

أثراني عنكم أمران: والدة لم ألقها وثراء عاد مسفوتاً
أحياهما الله عصر البين ثم قضى قبل الإياب إلى الذخرين أن موتاً

(1) المسفوتوت: القليل البركة.

يعني: أحيا الله والدتي ومالي وأنا بعيد عنهم، فلما أزمعت الإياب قضى على الوالدة بالملوّت، وعلى أمّال بالضياع.

على أنه كان على فقره قوًّا عيوفًا كبيرًا بالنفس، يضرب في علو الهمة بسهم وافر، لم يسمع أنه استماع أحدًا، أو مدح طمعًا في نوال، ومن قوله في خطبة سقط الزند: "وَمْ أطْرَقَ مِسَامِعَ الرُّؤْسَاءِ بِالنُّشِيدِ، وَلَا مَدْحُثَ طَلْبًا لِلثَّوَابِ، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ عَلَى مَعْنَى الرِّيَاضَةِ، وَامْتَحَانَ السُّوسِ"⁽²⁾ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَتَرَ بِغُفَّةٍ⁽³⁾ مِنْ قَوْمَ الْعِيشِ، وَرَزَقَ شَعْبَةَ مِنَ الْقَنَاعَةِ أَوْفَتَ عَلَى جَزِيلِ الْوَفْرِ. ومن غرر أقواله في ذلك:

وإلي تيممت العراق لغير ما
تيممه غيلان عند بلال
فأصبحت محسودا بفضلي وحده
على بعد أنصارى وقلة مالي
غيلان هو ذو الرمة، كان قصد بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري مستميحاً
وفيه يقول:

سمعت الناس ينتجعون غيشا
وصيده اسما ناقته، والرواية في الناس بالرفع على الحكاية؛ لأنّه سمع من يقول:
الناس ينتجعون غيشاً، فحكى ما سمع. جزم بذلك المبرد، وعد الحريري النصب من
الأوهام، وذهب غيرهما إلى أنه يجوز. وقال أبو العلاء يصف حاله ببغداد:

(2) السوس: بالضم الطبيعة.

(3) الغفة، بالضم: البلقة من العيش

تجهلي كيف اطمانت بي الحال
رزي الاماني لا انيس ولا مال
كفى حزنا بين مشت وإقلال
له بارقا والمرء كالمزن هطال⁽⁴⁾
عن الجهل قذاف الجواهر مفضال
لما زاد، والدنا حظوظ وإقلال

تمنيت أن الخمر حلّت لنشوة
فأذهل أني بالعراق على شفى
مقل من الأهلين يسر وأسرة
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشم
من الغر تراك الهواجر معرض
سيطلبني رزقي الذي لو طلبته
وقال أليضاً:

وقال أباًضاً:

ولا المذهب أبغى النيل تقويتا
عن القناعة عن أن تسأل القوتها

رحلت لم آت قروشا أزواله
والموت أحسن بالنفس التي أفت

قِرواش كان واليًّا بِبَغْدَادِ، وَالْمَهْذَبُ وَزِيرٌهُ. وَرُوِيَ أَنَّ الْمُسْتَنْصَرَ الْفَاطِمِيَّ خَلِيفَةً مَصْرَ بِذَلِّ لِهِ مَا فِي بَيْتِ مَالِ الْمَعْرَةِ مِنَ الْحَالَلِ، فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئًا، وَقَالَ:

لی یف پیض عالی رزقی
لم ان ذلک فوق حقی

لَا أَطْلَبُ الْأَرْزَاقَ وَلَا
إِنْ أَعْطَ بَعْضَ الْقُوَّاتِ أَعْ

ويجيئني قوله في لزوم ما لا يلزم:

رجى لها صلة فذاك يسار
هان الشقاء عليه والاعساد

وكانه الدنيا كعاب أينا
وإذا الفت لحظ الزمان بعينه

(4) السَّيْفُ، بِالْكَسْرِ: السَّاحِلُ.

وقوله:

نواب ألقت في النفوس جرائحا
ليَ القوت فليغمُر سَرْنَدِيبَ حظها

عصى كل آيس في البرية سبرها
من الدر أو يكثُر بغانية تبرها

سَرْنَدِيب: جزيرة قرب الهند، فيها مغواص لِلْؤُلُؤ، وتسمى اليوم سيلان. غانة: مدينة كبيرة في جنوي بلاد المغرب، هي مدخل بلاد التّبْر كما في ياقوت، وتطلق اليوم على أرض واسعة في غري قارة إفريقية، تقاسمها الإفرنج بينهم، واسمها في لغتهم (Guinée) جينا بالإمالة، أو: غينا، والأصل فيه غانة: كما قدمنا، والرجوع إليه أولى. ويطلق الإفرنج هذا الاسم أيضًا على أول دينار إنجليزي ضُرب من الذهب المستخرج من هذه الجهة، وأبطل الإنجليز التعامل به من سنة ١٨١٧ ميلادية، واستعاضوا عنه بدينارهم المسمى (Souverain) سوفران، ومن هذا تعرف سبب تسمية المصريين كل دينار بالجنيه، وكان الصواب أن يسموه بالغاني، إن أرادوا النسبة إلى تلك الجهة، وإلا فالرجوع إلى الدينار أولى.

وكان شأن أبي العلاء في الرهد والتقشف والإعراض عن الدنيا شأنًا عجباً، ولا يذهبن بك الظن فتتوهم أن لل الفقر مدخلاً في زهده، فإن من تُبَذَّل له الخزائن، وتُعرض عليه الصلات، لا تستعصي عليه غاية من الغايات، ولكنه نظر إلى هذا الامتاع الزائل نَظَرَ مَنْ لِيُلهِ زخرفه عن استطلاع حقيقته، فصدَّ عنه وزهد فيه جملةً، وأخذ نفسه بالرياضة والخشونة، والإعراض عن العرض الفاني؛ فكان لباسهقطن، وفراشه اللَّبْد، وحصيره بُرْدَيْه، وطعامه القول والعَدَس، وحلوته التين، وفيه يقول:

يقنعني بلسن يمارس لي
فإن أتنبي حلاوة فبلس⁽⁵⁾
فلس ما اخترت إن أروح من
يسار قارون عفة وفلس⁽⁶⁾

وسنورد مختار شعره في الزهد، متى وصلنا إلى الكلام على منظومه، كما أنها سنشيع القول في سبب تجافيه عن أكل الحيوان، عند الكلام على معتقده.

وكان رحمه لله، على عوزه ورقة حاله، بذوقًا لما عنده، غير مانع معروفاً عن مستحقٍ، يتكلف في ذلك ما استطاع. بلغه مرة أن شاعرًا يلقب بصربيع البَيْن ساءت به الحال، فأنفذ إليه قدرًا من الدرام، وأتبعها لقصيدة يقول فيها:

إلى شيء سوي عذر جمِيل
قد استحييت منك فلا تتكلني
قبح الهجو أو شتم الرسول
وقد أنفذت ما حقني عليه
إذا أنفقت إتفاق البخيِل
وذال، على انفرادك، قوت يوم
فكيف وأنت علوِي السجايا
فليس إلى اقتصادك من سبيل
إلى أن يقول:

فإن يك ما بعثت به قليلا فلي حال أقل من القليل
وحَدَّث للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الفقيه المالكي المشهور ضيق وشدة، وهو ببغداد، فلم يَرْ بُدًّا من الرحيل عنها، وخرج

(5) البلسن بالضم: العدس، والبلس بالتحريك: التين.

(6) اللس: الأكل.

لتشييعه يوم فَصَل جمع من أكابرها، وطوائف كثيرة، من أهلها، وما فيهم إلا متوجّع لفراقه، أو آسف على فوات الاستفادة من علمه، فقال لهم عند الوداع: لو وجدت بين ظَهَرَانِيْكُمْ رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت عن بلدكم. فلم تُحرِك مقالته واحداً منهم، يتکفل له بما طلب؛ فسار عنهم قاصداً مصر، واجتاز بعراة النعمان، وبها يومئذ أبو العلاء، فأضافه واحتفى به، وفيه يقول:

بِلَادِنَا فَحَمَدَنَا النَّأَيُّ وَالسَّفَرُ
إِذَا تَفَقَّهَ أَحِيَا مَالِكًا جَدْلًا
وَيُنَشِّرُ الْمَلِكُ الْضَّلِيلُ إِنْ شَعْرًا⁽⁷⁾

ثم حباه عند رحيله بثلاثين درهماً، وخطبه معذراً بقوله:

بِمَا هُوَ حَظِيَّ مِنْ أَلِيمٍ عَتَابٍ
إِذَا هِيَ لَمْ تَسْلُكْ طَرِيقَ تَحَابٍ
مَضَتْ لِي فِيهَا صَحْتِيْ وَشَبَابِيْ
مَتَى مَا تَكْشِفْ تَلْفَ غَيْرِ لَبَابٍ
فَعِنْدَ ابْنِ نَصْرٍ نَجْدَةُ بَجَوابٍ
وَلَوْ أَنِّيْ صَنَفْتُ أَلْفَ كِتَابٍ
يَعِيشُ لِفَقْدِ الْمَاءِ عِيشُ ضَبَابٍ
لِإِسْبَاغِ طَهْرٍ حَانُ أَوْ لِشَرَابٍ
أَبْيَسْطُ عَذْرِيْ مَنْعِمُ أَمْ يَخْصِنِيْ
قَبْولُ الْهَدَايَا سَنَةُ مَسْتَحْبَةٍ
فِيَا لِيْتَنِيْ خَمْسِينَ حَجَةَ
وَقَلْتُ لَهُ فَاتَّرَكْ ثَلَاثِينَ أَسْوَدَا
إِذَا سَكَتَ الْمَحْتَاجُ كُلُّ مَنَاظِرٍ
وَمَا أَنَا إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ سَحَابَةٍ
وَبَيْنَ يَدِيهِ كَفَرُ طَابُ وَإِنْسَهَا
لَعْلُ الَّذِيْ أَنْفَذْتُ يَكْفِيْهِ لِيْلَةٌ

يقول: لعل هذه الدراما القليلة، وإن كانت سوداء غير خالصة الفضة، تكفي الشيخ لأن يشتري بها قليلاً من الماء لطهره أو لشرابه؛ فإنه معرج

(7) الملك الضليل: امرؤ القيس.

على كفر طاب، وهي قليلة الماء، وأهلها يعيشون بها عيش الضباب. وإنما خص الضباب بالذكر؛ لأنها تصير على العطش. وبعض المحققين من أهل عصرنا يرى أن كفر طاب هي البلدة المسماة الآن بإدلب، وهي قصبة قضاء باسمها، من لواء حلب. ولم تزل قليلة الماء. وفيها يقول أبو العلاء في لزومياته:

(8) وبالس أغناها الفرات عن الحفر
أرى كفر طاب أعجز الماء حفرها
وواد به فيض وآخر ذو جفر
كذلك مجri الرزق، واد بلا ندى

وما وصل القاضي عبد الوهاب المذكور إلى مصر، أقبلت عليه الدنيا، وانهالت عليه صلات الأمراء، ولكنه لم يتمتع بشيء منها، بل مات عقب وصوله منأكلة اشتهاها، وسمعوه يقول وهو يتقلب ويتململ: لا إله إلا الله، إذا عشنا متنا.
وهو القائل في بغداد:

وللمفالييس دار الضنك والضيق
بغداد دار لأل والممال طيبة
كأنني مصحف في بيت زنديق
ظللت حيران أمشي في أزقتها

(8) بالس كصاحب: بلدة بشط الفرات.

في أخباره

لما دخل أبو العلاء بغداد أقبل عليه علماؤها وأدباؤها، معجبين بفطنته، وسعة علمه. واختص بصحبته جماعة منهم؛ كأبي القاسم علي بن المحسن القاضي التنوخي، وكخازن دار العلم؛ والشريفين الرضي والمرتضى ابني أبي أحمد الموسوي، وغيرهم. وكان المرتضى شديد الاختصاص به، وله معه مباحثات ومداعبات.

رُوي أنه حضر مجلسه يوماً، وجرى ذكر المتنبي، فتنقصه المرتضى، وجعل يتبع عيوبه؛ لبغضه له، وتعصبه عليه. وكان أبو العلاء على عكسه يتغصب للمتنبي، ويزعم أنه أشعر المُحدِثينَ، ويفضلُه على بشار ومن دونه؛ كأبي نواس وأبي قحافة. فقال: لو لم يكن للمتنبي إلا قوله: "لك يا منازل في القلوب منازل"، لكفاه فضلاً. فغضب المرتضى وأمر به فأخرج من مجلسه، ثم التفت إلى من بحضرته، وقال لهم: أتدرُون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، مع أن لأبي الطيب ما هو أَجود منها؟ فقالوا: النقيب السيد أَعْرَفُ، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بـأني كامل

قلت: ومن التلميح المستعذب بهذا البيت، ما وقع للفتح بن خاقان مع ابن الصائغ، وقد ذكره بسوء في كتابه قلائد العقيان، فمر عليه ابن الصائغ يوماً وهو في جماعة، فضرب بيده على كتفه، وقال: إنها شهادة يا فتح. ثم مضيفي سبيله، فتغير لون الفتح، وقال: والله ما بلغت بوصفي له في كتابي عشرَ ما بلغ مني بهذه الكلمة! ويشبه قصة المعري مع المرضى ما وقع للخالدين مع سيف الدولة، لما عاتبه في تفضيله المتنبي، وقال: ليختر الأمير ما شاء من قصائده، حتى تنظم ما هو أوجود منها، فاقتصر عليهما أن يعارض قوله:

لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
فلما كررا النظر فيها لم يجداها من غرر قصائده، ثم فطنا إلى أن سيف الدولة أراد بهما قوله فيها:

إذا شاء أن يلهم بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق فأحجمما عن المعارضة ولم يعاوداه. وفي رواية أن هذه القصة وقعت للسريري الرفقاء لا الخالدين. وحكي بعضهم، قال: خرجت على سبيل الفرجة، فقعدت على الجسر ببغداد، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة تريد الجانب الغربي، فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت في الحال: ورحم الله أبا العلاء المعري. ولم يقفَا، ومرةً مشرقاً ومغاربةً، فتبعتهُ المرأة وقلت لها: أخبريني عافاك الله عما قال لك، وعما أجبت به. فقالت: نعم، رحم الله علي بن الجهم، أراد قوله:

عيون المها بين الرصافة والجسر جلين الهوى من حيث أدرى ولا أدرى
 وأردت بترجمي على أبي العلاء قوله:
 فيا دارها بالحزن إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوا
 ورؤي أن أحد الشرفاء سقط منه خاتم في الحرم، فقال له أحد بنى عمه:
 لِمَ لَمْ تقف على طلب هذا الخاتم الشمين؟ فقال له: أَلَست من أبناء
 أمير المؤمنين؟ أراد الأول قول المتنبي:
 بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيم ضاع في الترب خاتمه
 وأراد الثاني قوله من قصيدة أخرى:
 كذا الفاطميون الندى في أفهم أعز امحاء من خطوط الرواجب⁽¹⁾
 يريد: أن الندى ملازم لأفهم، كما أن خطوط الرواجب ملزمة لها.
 وفي البيت الأول نادرة لأبي العلاء، وذلك أنه بلغ من ولوعه بالمتنبي أنه
 كان إذا ذكر الشعرا يقول: قال أبو نواس كذا، قال البحتري، قال أبو تمام، فإذا
 أراد المتنبي قال: قال الشاعر. فقيل له يوماً: لقد أسرفت في وصفه، فقال: أليس
 هو القائل:
 بليت بلى الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيم ضاع في الترب خاتمه

(1) الرواجب: واحدتها راجبة، وهي مفاصل الأصابع.

كم يقف الشحبي على خاتمه؟ يقف عليه أربعين يوماً. فقيل له: ومن أين علمت ذلك؟ قال: سليمان بن داود عليهمما السلام وقف على طلب الخاتم أربعين يوماً، فقيل له: ومن أين علمت أنه بخيل؟ قال: من قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي﴾، وما كان عليه أن يهبه الله لعباده أضعاف ملكته!، وما بلغ أبا العلاء وفاة أبي أحمد الطاهر أبي الشريفين الرضي والمرتضى سنة ٤٠٣ رثاه وهو بالمعرة بقصيدة فائقة طويلة، أجاد فيها كل الإجاده، وأنفذها إليهما، مطلعها:

مال المُسِيفِ وعَنْبِرُ الْمُسْتَافِ

أودي فليت الحادث كفاف

ومن غريب قوله فيها يخاطب الغراب:

كسحيم الأسدي أو كخفاف
يرثي الشريف على روى القاف
والإكفة

لا خاب سعيك من خفاف أسمح
من شاعر للبين قال قصيدة
بنيت على الإيطاء ساملة من الإقواء

الخفاف: الخفيف، وسُحَيْمٌ: عبد بني الحسحاس، كان أسود. وأراد بخفاف: حُفَّافٌ بْنُ نُدْبَةٍ⁽²⁾ أحد غربان العرب وشوارئها، يعني كأن هذا الغراب شاعر أسود كهذين الشاعرين، ينبع لنا الشريف بنعيبه، ويرثيه بقصيدة قافية؛ لأنه يقول في نعيبه: غاقٍ غاقٍ. وهذه القصيدة بنيت على الإيطاء؛ لأنه يردد هذه الكلمة في قوافيها، إلا أنها ساملة من الإقواء، وهو الاختلاف

(2) ندبة بفتح أوله أو ضمه: أم خفاف، وهو أحد من نسب إلى أمه من الشعراء.

بين القوافي بالرفع والجر؛ ومن الإكفاء، وهو المخالفة بينها بالحروف؛ ومن الإصراف، وهو الإقواء بالنصب.

وممن صحب أبي العلاء وأخذ عنه وهو ببغداد القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي المتقدم ذكره، وكانت بينهما رابطة اتحاد. وحمل إليه مرة جزءاً من أشعار تنوخ في الجاهلية، مما كان جمعه والده أبو علي المحسن، فلما تعجل أبو العلاء الرحيل عن بغداد تركه عند أبي أحمد عبد السلام، وسألته رده إلى أبي القاسم، وسار عن بغداد، فخشى أن يكون أغفله، فكتب يخاطب أبي القاسم بقصيدة ضمنها أغراضاً، يقول فيها:

يزال قلبي إليه الدهر ملفوتا
إليك ديوان تَيْمِ اللات ماليتا⁽³⁾
قضاء حج فأغفلت المواقف
أهدي السلام إلى عبد السلام فما

سألته قبل يوم السير مبعثه
هذا التعلم أني ما نهضت إلى

وروى ابن خلكان وابن الوردي في تاريخهما، نقلاً عن كتاب للحافظ أبي طاهر السّلّافي، وضعه في أخبار أبي العلاء، قال فيه مسنداً عن القاضي أبي الطيب الطبرى: كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد، وقد كان نزل في سُوئيقة غالباً:

تناوله واللحم منها محل
ومن رام شرب الدر فهو مضلل
وأكله عند الجميع مغفل
فما لحصيف الرأي فيهن مأكل

وما ذات در لا يحل لحالب
من شاء في الحالين حياً وميتاً
إذا طعنت في السن فالطعم طيب
وخرفانها للأكل فيها كرازة⁽⁴⁾

(3) أي: ما نقص.

(4) الكرازة: اليبس والانقباض.

فأجابني، وأملى على الرسول في الحال:

صواب وبعض القائلين مضلل
ومن ظنه نحلاً فليس يجهل
هو الحل والدر الرحيق المسلسل
تمر⁽⁶⁾ وغضن الكرم يعني ويؤكل
هي النجم قدرًا بل أعز وأطول
جديرًا ولكن من يودك مقبل

جوابان عن هذا السؤال كلاهما
فمن ظنه كرماً فليس بكاذب
لحموهما الأعناب والرطب الذي
ولكن ثمار التخل وهي غضيبة⁽⁵⁾
يكلفني القاضي الجليل مسائلاً
ولو لم أجرب عنها لكتبت بجهلها

قال القاض يأبو الطيب: فأجبته عنه، وقلت:

من الناس طرأً سابق⁽⁷⁾ الفضل مكمل
وخطره في حدة النار مشعل
ومعضلها باد لديه مفصل
أسيراً بأنواع البيان مكبل
إيضاخه حتى رأه المغفل
ومرتجلًا من غير ما يتمهل
جلالاً إلى حيث الكواكب تنزل
محاسنه والعمر فيها مطول

أثار ضميري من يعز نظيره
ومن قلبه كتب العلوم بأسرها
تساوي له سر المعانى وجهرها
وملا أقاد الحب قاد⁽⁸⁾ منيعه
وقربه من كل فهم بكشفه
وأعجب منه نظمه الدر مسرعاً
فيخرج من بحر ويسمو مكانه
فهناه الله الكريم بفضله

(5) رواية ابن الوردي: رطيبة.

(6) مر يمر بالفتح والضم: ضد يحلو.

(7) رواية ابن الوردي: سابق.

(8) رواية ابن الوردي: وما أثار الخباء فار معينه.

فأمي أبو العلاء على الرسول مرتجلا:

سيوف على أهل الخلاف تسلل
وجدك في كل المسائل يقبل
فأنت من الفهم المصنون ممولاً
فأنت، وهم مثل الحمائم، أجدر
ومن قلبه تملي فيما تتمهل
وأنت بياضاح الهدى متكتل
فعلت، وكفي عن جوابك أجمل
وأعلى ومن يبغى مكانك أسفل
بفضلك فالإنسان يسهو ويذهل
هي المجد لي منها أخير وأول
رسولك وهو الفاضل المتفضل
بها⁽⁹⁾ وهي في أعلى الموضع تجعل
فأنت امرؤ في العلم والشعر وأمثال
ومثلك حقاً من به تتجمل

ألا أيها القاضي الذي بدھائه
فوؤادك معمور من العلم آهل
فإن كنت بين الناس غير ممول
إذا أنت خاطبت الخصوم مجادلاً
كأنك من في الشافعى مخاطب
وكيف يرى علم ابن إدريس دارساً
تفضلت حتى ضاق ذرعى بشكر ما
لأنك في كنه الثريا فصاحة
فعذرني في أني أحبتك واثقاً
وأخطأت في إنفاذ رفعتك التي
ولكن عداني أن أروم احتفاظها
ومن حقها أن يصبح المسك عطراً
فمن كان في أشعاره متمثلاً
تجملت الدنيا بأنك فوقها

والقاضي أبو الطيب المذكور كان أديباً ورعاً، عارفاً بأصول الفقه وفروعه،
صنف في الأصول ومذهب الشافعى والخلاف والجدل كتبًا كثيرة. وكان يقول
الشعر على طريقة الفقهاء، وولي القضاء ببريع الكرخ ببغداد، ولم يزل
عليه إلى أن مات سنة خمسين وأربعين مائة، بعد ما عاش مائة سنة وستين، لم

(9) رواه ابن الوردي: غامراً لها.

يختل عقله، ولا تغير فهمه، يفتى ويستدرك على الفقهاء الخطأ، ويقضى،
ويحضر المواكب في دار الخلافة. رحمه الله تعالى.

ومن أخبار أبي العلاء قصته مع أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب،
وقبوله شفاعته في أهل معرة النعمان بعد أن كاد يبطش بهم سنة ٤١٧. والسبب
في ذلك أن امرأة صاحت يوم الجمعة بجامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور
أراد اغتصابها، فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور، وأخذوا خشبه ونهبوه،
وكان الأمير أسد الدولة في نواحي صيدا، فوصل المعرة، وَحَيْئَ بظاهرها، واعتقل
من أعيانها سبعين رجلاً برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ، وأوهمه أن في
ذلك إقامة للهيبة. فشق على المسلمين هذا الأمر، حتى دعوا لهؤلاء المعتقلين على
منابر آمد ومياراتِ قرينَ. وقطع تادرس عليهم ألف دينار، ففرز أهل المعرة إلى أبي
العلاء، وسألوه تلafi الأمر بالخروج إلى الأمير، والتوسط لهم عنده. فخرج من أحد
أبواب المدينة، ويده في يد قائد، وأبصره صالح. فرأى شيخاً قصيراً يقوده رجل،
فقال: هذا أبو العلاء، جيئوني به. فلما مثل بين يديه سَلَّمَ عليه ثم قال: "الأمير
أطال الله بقاءه كالنهار الماتع، قاطط وسطه وطاب إبراده، أو كالسيف القاطع،
لان متنه وخشن حداه: **لَا خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**".

فقال صالح: "لا تثريب عليكم اليوم، قد وهبت لكم المعرة وأهلها" وأمر
بتقويض الخيام ورحل. فرجع أبو العلاء وهو يقول:

نجى المعرة من براثرن صالح رب يعافي كل داء معضل

ما كان لي فيها جناح بعوضة اللـهـ أـلـحـفـهـمـ جـنـاحـ تـفـضـلـ
ورواية لزوميات في البيت الأول:

نجـىـ المـعاـشـ مـنـ بـرـاثـنـ صـالـحـ ربـ يـفـرـجـ كـلـ أـمـرـ مـعـضـلـ

وفيها أيضًا: ألبسهم، بدل: ألحفهم. ولم يعلم أبو العلاء أن إملاك قد قطع عليهم، وإنما كان قد سأله في ذلك. وفي هذه القصة يقول وضمنها لزومياته:

تـغـيـتـ فـيـ مـنـزـلـ بـرـهـةـ
فـلـمـ مـضـيـ الـعـمـرـ إـلـاـ أـقـلـ
بـعـثـتـ شـفـيـعـاـ إـلـىـ صـالـحـ
فـيـ سـمـعـ مـنـيـ سـجـعـ الـحـمـامـ
فـلـاـ يـعـجـبـنـيـ النـفـاقـ

مرداًس بحلب، كان من عرب البدية، وكانت له عشيرة وشوكة، فقد صد مدينة حلب وانتزعها من مرتضى الدولة بن لؤلؤ، نائب الظاهر بن الحاكم الفاطمي خليفة مصر، وملكها سنة ٤١٧. ثم جهز الظاهر الجيوش ووجهها إليه، وجرت مقتلة أنجلت عن قتل صالح سنة ٤٢٠، وقيل سنة ٤١٩.

وهو الذي عنده أبو العلاء بقوله في لزومياته:

أـرـىـ حـلـبـاـ حـازـهـاـ صـالـحـ
وـحـسـانـ فـيـ سـلـفيـ طـيءـ
وـجـالـ سـنـانـ عـلـىـ جـلـقاـ
يـصـرـفـ مـنـ عـزـةـ أـلـقـاـ

وذكر السيوطي في بغية الوعاة في ترجمة نصر بن صدقة القابسي النحوي، أنه كان ممن يعاني الأدب، فقدم مصر وأخذ عن علمائها، ثم توجه إلى المعرة فلازم أبي العلاء، وأخذ عنه ديوانه سقط الزند، وكتب منه نسخة جيدة، ورجع إلى مصر، فقدمها للحاكم وقرأها عليه، فأعجبه نظمه، وأرسل إلى عزيز الدولة الوالي بحلب، أن يحمله إلى مصر، فاعتذر فكف عنه. هذا ما ذكره السيوطي. وفي مقدمة رسالة للموري تسمى بالفالحية: أن القابسي المذكور لما رجع إلى مصر بنسخته سقط الزند، أهداهها للوزير أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاхи، فأعجب بها، واستدعى كاتب الديوان، وأمره أن يكتب إلى عزيز الدولة متولي حلب وأعمالها في حمل أبي العلاء إلى مصر، ليبني له دار علم، وسمح بخروج معرة النعمان له في حياته وبعده، فوصلت الأوامر إلى ديوان الشام بكتاب السجل، فكتب، وجهز على البريد. فلما وقف عليه عزيز الدولة نهض للوقت، حتى دخل معرة النعمان، وقرأ السجل على أبي العلاء، فقال: أمهلني حتى أكتب جواب السجل إلى مجلس الوزارة، فلعل العفو يسامعني بالمقام في بلدي؛ إذ لا يمكنني الخروج منه. فأممهه الأمير، فأحضر الكاتب للوقت، وأملأ عليه هذه الرسالة يعتذر فيها عن عدم الرحيل بعجزه عنه. والوزير الفلاحي المذكور فرّ للمستنصر سنة ٤٣٦ وعزل سنة ٤٣٩. ولم تسبق له وزارة مدة الحاكم بأمر الله، حتى يمكن الجمع بين الروايتين. وقد تقدم أن المستنصر بذلك لأبي العلاء ما بيت مال المعرة من الحال، فلم يقبله. فلعل ذلك كان بسبعين هذا الوزير، وفيه ما يرجح الرواية الثانية. إلا أن يكون مراد السيوطي

مطلق حاكم بمصر، لا الحاكم بأمر الله على الخصوص. وكان هذا الوزير في أول أمره يهوديًّا، ثم أسلم. وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصري:

حجاب وإعجاب وفρط تصلف
ومديده نحو العلا بتكلف
فلو كان هذا من وراء كفاية
عذربنا ولكن من وراء تخلف

وكان معه أبو سعد التستري اليهودي يدبر الدولة له، فقال بعض الشعراء:

يهود هذا الزمان قد بلغوا
غاية آمالهم وقد ملكوا
العز ففيهم وأملاك وعندهم
يا أهل مصر إبني لكم

ومن ارتبط مع أبي العلاء برابطة الود، وجمعته به آصرة الأدب؛ الوزير أبو القاسم الحسين بن علي العام الأديب المشهور بالوزير المغربي، صاحب مختصر إصلاح المنطق، وأدب الخواص، والمأثور في ملح الخدور، وكتاب الإيناس، والديوان الشعري. وهو الذي كتب له أبو العلاء رسالته المسمى باسميحة، ورسائل أخرى. ولما فرغ من تأليف مختصر إصلاح المنطق لابن السكينة أنفذ إلى أبي العلاء نسخة منه، فقرظها برسالة طويلة سماها بالإغريضية، أثني عليه فيها ثناء جمًّا، ووصف المختصر، وبالغ في مدحه.

ووقفت في رسائل لأبي العلاء مخطوطه على كتاب أرسله له هذا الوزير، يت Shawq إلـيـه وإلـيـ أخيـه، ويـشتـكيـ منـ الـدـهـرـ وـصـرـوفـهـ، ويـسـأـلـ اللـهـ أـنـ يـجـمـعـهـ بـهـمـاـ، وـضـمـنـهـ كـثـيرـاـ مـنـ شـعـرـهـ فـيـ هـذـهـ الـأـغـرـاضـ. ولـوـلـاـ خـوـفـ

الإطالة لأثبته هنا. وكان الوزير المذكور من الدهاء العارفين، محباً للفتن، مثيراً للقلق، قتل الحكم بأمر الله أباه وعمه وأخويه، فهرب إلى الرملة، ثم انتقل إلى الحجاز، وهو يفسد نيات الولاية على الحكم حتى أفلقه. ودخل العراق فاتهمه القادر العباسي بالسعى في إفساد الدولة العباسية، فلم يزل منتقلًا في البلاد حتى مات بِمَيَّاْفَارِقِينَ سنة ٤١٨ على الأصح. ونقل إلى الكوفة بوصية منه، ودفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام كرم الله وجهه؛ وأوصى أن يكتب على قبره:

رب يفرج كل أمر معرض
حتى بهذا الحديث ذاك القديم
طلعت إلا أن الغريرين كريم
كنت في سفره الغواية والجهة
تبث من كل مأثم فعسى يوم
بعد خمس وأربعين لقد ما
ورثاه أبو العلاء بأبيات أثبتها في لزومياته، وهي:

لليس يبقى الضرب⁽¹⁰⁾ الطويل على الأرض
يا أبا القاسم الوزير ترحل
وتركت الكتب الثمينة للنا
ليتنى كنت قبل أن تشرب المو
إن نحتك المنون قبلي، فلاني
أم دفتر تقول بعدك للذا
ولا ذو العبالة⁽¹¹⁾ الدُّرْحَائِيَّه
ت وخلفتني ثفال⁽¹²⁾ رحابة
س وما رحت عنهم بسحابه⁽¹³⁾
ت أصيلا شربته بضحايه
منتحاها وإنها منتحايه⁽¹⁴⁾
ئق لا طعم لي فرأين فحايه

(10) الضرب: الخفيف اللحم.

(11) ذو العياله: الغليظ، والدرحية: القصير.

(12) الثفال، بالكسر: الجلد الذي يوضع تحت الرحي.

(13) سحابة القرطاس: ما سحي منه، أي أخذ.

(14) الفحاء، وبكسه : البزد. وفتح القدر : كثُر أبا زيد.

إن يخطئ الذنب اليسير حفيظا ك فكم من فضيلة مَحَايِه

وكان ابن القارح صاحب الرسالة المشهورة للمعري يؤدب الوزير المغربي في صباح، ثم صار يذمُّه ويعدد معاليه، حتى قال في هجومه:

لقيت بالكامل ستراعى
فصرت كالكتف إذا شيدت
ياعرة الدنيا غرة
قتلت أهلك وأنهيت بيـ
نقشك كالبانى على الخصـ
بـيـضـ أعلاهـ نـ بالجـصـ
ـ ويـا طـويـسـ⁽¹⁵⁾ الشـؤـمـ والـحرـصـ
ـ تـ اللـهـ بـالـلوـصـلـ تـسـعـصـيـ

وبلغ أبو العلاء كلامه فيه فامتعض وتألم. فلما كتب ابن القارح رسالته قال فيها في هذا الخصوص مخاطباً أبي العلاء: "بلغني عن مولاي الشيخ - أadam الله تأييده - أنه قال وقد ذكرت له: أعرفه خبراً، هو الذي هجا أبو القاسم الحسين بن علي المغربي. فذلك منه أadam الله عزه رائع لي، خوفاً أن يستشرط بي، وأن يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشكر، وهو بتعریف التنکیر أنفع لي عنده، لجلالة قدره ودينه ونسكه".

وأنا أطـلـعـهـ طـلـعـهـ، ليـعـرـفـ خـفـقـهـ وـرـقـعـهـ، وـفـرـادـاهـ وـجـمـعـهـ. ثـمـ سـاقـ بـعـدـ ذـلـكـ
نوادر عن هذا الوزير في تهوره ومحبته للفتن، ونقضه للعهود. فأجابه أبو العلاء في رسالة الغفران بأن هذا الصديق قد مات، وأولى بهن يغفر الذنب للحي أن يغفره له وهو ميت.

(15) طويس: أول من غنى في الإسلام، يُضرب به المثل في الشؤم؛ لأنَّه ولد ليلة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفطم يوم مات أبو بكر، وبلغ يوم مات عمر، وتزوج يوم قتل عثمان، وولد له يوم قتل علي.

وكان أبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجَبْلِي⁽¹⁶⁾ شاعرًا، وكان بينه وبين أبي العلاء المعربي مشاعرة، وفيه قال أبو العلاء قصيده:

غَير مَجْدٍ فِي مُلْتِي واعْتِقَادِي نَوْحٌ بَاكَ وَلَا تَرْنِمْ شَاد

ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة ٤٣٩. كما ذكر ياقوت في معجم البلدان.

(16) الجَبْلِي: نسبة إلى جبل، بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها: بُلَيْدَة بين النعمانية وواسط، كما في ياقوت.

شعر٥

المكرر في معانيه

تكرير المعاني وقع لكثير من الشعراء، ولم نر أحداً عابهم به، إلا إذا كان المعنى في نفسه ساقطاً ممزوجاً، يؤخذ الشاعر عليه، فتكون مؤاخذته على تكريره وترديده أولى. ومن الشعراء من يكرر الألفاظ فيعمد إلى بيت أو شطر بيت سبق له، فيعيده في قصيدة أخرى؛ إما بتغيير قافية، أو بجعل الصدر عجزاً، أو بالعكس. وهذا النوع يسميه أصحاب البديع بالتفصيل.

فإذا كان مأخوذاً من شعر الغير سموه: إيداعاً، أو تضميناً، على اختلاف بينهم فيه. ولم نقصد هنا التكلم عليه، بل اقتصرنا على ما كرره أبو العلاء من معانيه.

فمنها قوله في تشبيه مسامير حلق الدروع بعيون الجراد:

سليمية من كل فترة يحوطها
قتير نبت عنه الغوانى العوانس
تجيل أبصار الذي فمسهد
ومعف وشىء بين ذنيك ناعس

وكره فقال:

إذا رد فيهـا ناظـر يـستبـينها
كـأن الدـبـي غـرقـى بـهـا غـير أـعـين
وكـرـه فـقـالـ:

فـخـاطـتـهـا بـأـعـينـهـا الجـرـادـ
كـأـثـوـابـ الـأـرـاقـمـ مـزـقـهـا
وكـرـهـ أـيـضـاـ فـقـالـ:

فـخـاطـتـ بـعـضـ مـاءـ الشـمـادـ
بـعـيـونـ الجـرـادـ
بـدـلـاصـ كـأـنـهـا
حـلـةـ الـأـيـمـ خـيـطـتـ
وكـرـهـ فـقـالـ:

وـقـدـ أـجـدـتـ قـيـسـ عـيـونـ جـرـادـ
أـنـأـكـلـ درـعـيـ أـنـ حـسـبـتـ قـتـيرـهـا
وـقـولـهـ فـيـ تـشـبـيـهـ الدـرـعـ بـالـمـيـرـدـ:

بعـاجـزـةـ عـنـ ضـمـ شـخـصـ وـأـوـصـالـ
وـمـاـ بـرـدـةـ فـيـ طـيـهـاـ مـثـلـ مـبـرـدـ
كـرـهـ فـقـالـ:

ولـكـنـهاـ فـيـ الطـيـ تـحـسـبـ مـبـرـداـ
مـضـاعـفـةـ فـيـ نـشـرـهـاـ نـهـيـ مـبـرـدـ
وـقـولـهـ:

بـماـ يـجـعـلـ الـحـرـيرـ لـهـاـ جـلـالـاـ
ذـكـيـ القـلـبـ يـخـضـبـهاـ نـجـيـعـاـ
كـرـهـ وـبـالـغـ فـيـهـ فـقـالـ:

كـمـاـ كـنـ يـغـذـيـنـ الـضـرـيبـ مـهـارـاـ
غـذاـهـنـ مـحـمـرـ النـجـيـعـ قـوارـحاـ

وقوله في تشبيه فرنذ السيف بآثار دبيب النمل:
 ودبٌت فوقه حمر المنيا
 ولكن بعدما مسخت نمala
 كرره فقال:
 تخذن إلى الأرواح فيه مسارا
 وكرره أيضاً فقال:
 في الجفن يطوى على نار ولا نهر
 مشي على اللج أو سعي على السعر⁽¹⁾
 ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه
 ولا ظنت صغار النمل يمكنها
 وقوله في تشبيه طحلب اماء باللثام:
 عليه فلم تكشف خفي لثامه
 وملثم بالغفلق الجعد غرست
 وكرره فقال:
 يلوح عليه من خَزْ خمار
 وكم أوردتها عادا قدما
 وقوله:
 وفي اليمين المليلاك مقودها
 ولا تقوى الجبان مخلداها
 فالنفس تبغي الحياة جاهدة
 فلا اقتحام الشجاع مهلكها
 فكأن في كل نائبة جريئا
 كرره فقال:
 تصب في الرأي إن خطى الهدان⁽²⁾

(1) السعر: جمع سعير.
(2) المداد: الضعيف الجبان.

وسائل من تنفس في التوقي
 لأية عل مات الجبان
 وقوله:
 وجئنا بوهن بعد ما خرف الدهر
 قتيع أبكار الزمان بأيده
 كرره فقال:
 أهل العصور فما أبقوا سوى العكر
 كأنما الخير ماء كان وارده
 وقوله:
 ويستعبد اللذات وهي سمام
 وكل ما يريد العيش والعيش حتفه
 كرره فقال:
 وطولبقاء المرة سـم مـجـرب
 تود البقاء النفس من خـيفـة الرـدـي
 وقوله:
 والبدر في الوهن مثل البدر في السحر
 وافقـتمـ في اختلافـ من زمانـكمـ
 كرره فقال:
 يغـيبـ ويـأـتيـ بالـضـيـاءـ المـجـددـ
 وما البدر إلا واحد غير أنه
 فـجمـلـتهاـ مـنـ نـيـرـ مـتـرـددـ
 فلا تحـسـبـ الأـقـمـارـ خـلـقاـ كـثـيرـةـ
 وقولـهـ في رثـاءـ أـمـهـ:
 رضـيعـ ما بلـغـتـ مـدىـ الفـطـامـ
 مضـتـ وقد اـكـتـهـلتـ فـخـلـتـ أـيـ

وكره في رثائها أيضًا فقال:

دعا الله أَمَا لَيْتَ أَنِ امَّا
مضت وكأني مرضع وقد ارتفعت

شهي الظلم مغفور الذنب
في السن حتى شكل فودي أشكال

سُرقاتہ

هذا باب لم أقف عليه مجموعاً، فيسهل على تناوله، واستيفاء الكلام فيه. وإنما ذكر منه ما اتفق لي العثور عليه في كتب الأدب عند كتابة هذه النبذة، أو استخرجه الخاطر الكليل أثناء مطالعة ديوانه. وأبدأ بما خذله من أبي تمام والبحتري وأبي الطيب المتنبي، ثم ذكر ما خذله من غيرهم من غير ترتيب.

فمن ذلك قول أبي تمام:

أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءِ وَأَخْرَجَهُ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ:

والح هو الحظ غير الوحش يستأنف أنفه
ويُحْ خزامي وأنف العود بالعود
وقال أبو قمام:

ثم انتفاضت تلك السنون وأهلها
أخذه أبو العلاء وزاد عليه، فقال:

فأضحاوا حديثاً كالمدام وما تمضي
فسيان منه يقظة ومنام

وقال أبو عبادة البحري:

أجلجلتني بندي يديك فرسودت
ما بيننا تلك اليـد البيضاء

وقطعتـني بالوصل حتى إنـي
متخـوف ألا يـكون لقاء

أخذـهما أبو العـلاء وضمـن معـناهـما في صـدر بـيـتهـ، فـقالـ وأـجادـ:
لو اـختـصرـتمـ منـ الإـحسـانـ زـرـتـكمـ والـعـذـابـ يـهـجرـ لـلـإـفـراـطـ فيـ الـخـصـرـ

وهـذاـ الـبـيـتـ مـنـ مـعـجـزـاتـهـ، إـلاـ أـنـهـ أـورـدهـ فيـ غـزـلـ الـقـصـيـدةـ، وـكـانـ مدـيـحـهاـ أـولـىـ بـهـ.

وقـالـ الـبـحـرـيـ:

نشـوانـ يـطـربـ لـلـسـؤـالـ كـأـمـاـ غـنـاهـ مـالـكـ طـيـئـ أوـ مـعـبدـ

أـخـذـهـ أـبـوـ الـعـلـاءـ وـزـادـ فـيهـ زـيـادـةـ لـاـ تـخـفـيـ عـلـىـ الـأـدـيـبـ، فـقالـ:

فـماـ نـاحـ قـمـريـ وـلـاـ هـبـ عـاصـفـ مـنـ الـرـيـحـ إـلـاـ خـالـهـ صـوتـ سـائـلـ

فـالـبـحـرـيـ جـعـلـ مـمـدوـحـ يـطـربـ لـصـوتـ السـائـلـ، طـربـ الـمـنـتـشـيـ مـنـ الـمـغـنـيـ

الـمـجـيدـ، وـأـبـوـ الـعـلـاءـ جـعـلـهـ كـلـمـاـ سـمـعـ صـوتـاـ مـنـ تـطـريـبـ حـمـامـ، أـوـ إـزـعـاجـ أـروـاجـ؛

خـالـهـ صـوتـ سـائـلـ، مـزـيدـ اـعـتـنـائـهـ بـالـسـؤـالـ، وـولـعـهـ بـالـنـوـالـ.

وقـالـ أـبـوـ الطـيـبـ الـمـتـنـبـيـ فـيـ وـصـفـ فـرسـ:

وـأـصـرـعـ أـيـ الـوـحـشـ قـفيـتـهـ بـهـ وـأـنـزلـ عـنـهـ مـثـلـهـ حـينـ أـرـكـبـ

أخذه أبو العلاء فقال:

أصيل الجد سابقه تراه على الأين المكرر مستريحا

وقال أبو الطيب:

يقولون تأثير الكواكب في الورى
فما باله تأثيره في الكواكب

أخذه أبو العلاء، فقال:

فقال إن النيران عوامل
فبضد ذلك في علاك يقول
ولهن دونك مطلع وأفول
يعملن فيما دونهن بزعمه

قال شارحه أبو يعقوب النحوي: وقول أبي العلاء أرفع؛ لأنّه جعل الممدوح فوق
النجوم. انتهى.

وأقول أنا: إنّ أبي العلاء إنما شرح المعنى ووضّحه، فبين أنّ علة عدم تأثير
الكواكب في ممدوحه علوُّها عنها، وهذا مستفاد من قول المتنبي:

فما باله تأثيره في الكواكب

لأنّ المؤثّر في العادة أعلى وأقوى من المؤثّر فيه، ففيه معنى بيتي المعربي
وزيادة.

وقال أبو الطيب:

نحنا بنو الملوّن فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه

أخذه أبو العلاء فقال:

مارغبة الحي بأبنائه

وقال أبو الطيب:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه

أخذه أبو العلاء فقال:

وآفة الصارم من حده

وكلا البيتين فيه زيادة عن الآخر لا تخفي.

وقال أبو الطيب:

قر بك الأبطال كلمى هزيمة

أخذه أبو العلاء، فقال:

يتهللون طلاقة وكلمـوهم

ويبيته أبلغ في المدح؛ لأن غاية المتنبي أن وصف ممدوحه بتهللـه عند

هزيمة جيشه، احتقاراً للأخطار. والماعري جعل ممدوحـيه يتهلـلون وهم مصابـون

يقطرـونـهمـ الدـمـ. وـقـالـ أبوـ الطـيـبـ:

يموت راعي الضأن في جهلـه

وربـما زـادـ عـلـىـ عـمـرـهـ

ميـةـ جـالـينـوسـ فـيـ طـبـهـ

وزـادـ فـيـ الـأـمـنـ عـلـىـ سـرـبـهـ

أخذه أبو العلاء، فقال:

فلم أسأل متى يقع الكسوف
وعوجل بالحمام الفيل سوف

رددت إلى ملك الخلق أمري
فكם سلم الجھول من المانيا

وقال أبو الطيب:

وعلا فسموه على الحاجبـا

في رتبة حجب الورى عن نيلها

أخذه أبو العلاء فقال:

وقد سماه سيده عليـا

وذلك من على القدر فالـ

وفي بيت المتنبي زيادة ساعد عليها لقب ممدوحـه.

وقال أبو الطيب أيضـاً:

فسرهم وأتـيـاه على الهرـم

أـنـيـ الزـمانـ بـنـوـهـ فيـ شـبـيـتهـ

أخذه أبو العلاء فقال:

وـجـئـناـ بـوـهـنـ بـعـدـمـاـ خـرـفـ الدـهـرـ

قـمـتـعـ أـبـكـارـ الزـمانـ بـأـيـدـهـ⁽¹⁾

وقال أبو الطيب:

وـمـوـصـ وـفـاهـمـاـ مـتـبـاعـ دـانـ

وـقـدـ يـتـقـارـبـ الـوـصـفـانـ جـداـ

أخذه أبو العلاء فقال:

إـنـ السـمـاءـ نـظـيرـ المـاءـ فـيـ الزـرـقـ

قـدـ يـبـعدـ الشـيءـ مـنـ شـيءـ يـسـابـهـ

(1) الأيد: القوة.

وقال أبو الطيب:

إذا خفيت عن الغبي فعاذر
أن لا تراني مقلة عمياء
أخذه أبو العلاء فقال:

وكم عين تؤمل أن تراني
وتفقدت عند رؤيتي السوادا
يريد: إذا رأتنى خفيتُ عليها، فكأنها عميت، وفقدت سوادها.
وقال عمارة بن عقيل:

وما النفس إلا نطفة⁽²⁾ في قراره
إذا لم تقدر كان صفواً غديراً
أخذه أبو العلاء فقال:

والخل كالماء يبدي لي ضمائره
مع الصفاء ويختفيها مع الكدر
وقال النابغة الذبياني في النعمان:

فإنك شمس وأملوك كواكب
إذا طلعت لم يجد منه كوكب
أخذه أبو العلاء، فقال في قصرِ نزلته عروس ممدوده، فخرج من كان فيه من
حاشيته:

كان الأفق حين توهمت به الشم س تنادت نجومه بالمسير
وقال عَدِيٌّ بن الرعلى:

ليس من مات فاستراح بيت
إما الميَّتُ ميَّتُ الأحياء

(2) النطفة، بالضم: الماء الصافي قل أو كثر.

أَمْ بْهُ أَبُو الْعَلَاءَ فَقَالَ:

سَامِ أَعْدَاثِكَ مُسْتَسْلِمٌ وَالْعِيشُ مَوْتٌ لَهُمْ مَرْغُمٌ

وقالت ليلى أخت الوليد بن طريف ترثيه:

أَيَا شَجَرُ الْخَابُورِ مَالِكُ مُورُوقَا كَانَكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءَ وَتَصْرُّفَ فِيهِ، فَقَالَ:

وَمَا كَنْتُ أَدْرِي أَنْ مُثْلِكَ يَشْتَكِي وَلَمْ يَتَغَيِّرْ لِلرِّيَاحِ نَسِيمٍ

وَقَالَ عَبْدُ الدُّمَيْشِيفُ السَّحَابُ:

كَانَ أَقْرَابَهُ مَا عَلَا شَطْبَا⁽³⁾ أَقْرَابُ أَبْلَقٍ يَيْغِي الْخَيْلَ رِمَاحٍ

أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءَ فَقَالَ:

سَرَّتْ لَهَا تَرْمِحُ أَفْلَاهِهَا فِي الْجَوَّ بِلْقٌ وَعَرَبِيَّاتٌ

ذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَصْفُونَ السَّحَابَ بِالْبَلَقِ، مَا فِيهَا مِنْ لَمْعَ الْبِرْوَقِ؛ وَهُوَ قَوْلُ حَسَنٍ.

وَالْأَقْرَبُ عِنْدِي أَنَّهُمْ يَصْفُونَهَا بِذَلِكِ؛ لِأَنَّ فِيهَا مَا هُوَ رَقِيقٌ، وَمَا هُوَ كَثِيفٌ، وَمَا هُوَ مُتَقْطَعٌ؛ فَيَخْيِلُ لِنَاظِرِهَا أَنَّهَا بِلَقَاءً.

وَقَالَ الْحَطَيْئَةُ:

يَرِي الْبَخْلُ لَا يَبْقَى عَلَى الْمَرْءِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الْمَرْءَ غَيْرَ مَخْلُدٍ

(3) الأقارب: جمع قرب بالضم أو بضمتين، وهو الخاصرة. وشطب: جبل معروف.

أخذه أبو العلاء فقال:

إذا أتيت مالا فابذله

وقال الأفوه الأودي:

وقدور كالريـا راكـدة

أغار عليه أبو العلاء فقال:

وقدورهم مثل الهضاب رواكـدا

وقال كثير عزة:

وكنت كذات الظلع لما تحاملت

أخذه أبو العلاء فقال:

أدعكم يا أهل بغداد والحسـا

وداع ضـن⁽⁵⁾ لم يستقل وإنـما

وقال امرأ القيـس:

وقد اغتـدى والطـير في وـكنـاتها

أخذه أبو العلاء، وغلا بأن جعله قـيداً للـريح، فقال:

وخيـلاـلو جـرتـ والـريحـ شـأـواـ

(4) الأفـيـافـ: جـمعـ فـيفـ، وـهـيـ الـبـرـيةـ الـوـاسـعـةـ

(5) ضـنـيـ كـرضـيـ، فـهـوـ ضـنـيـ وـضـنـ: مـرـضـ

وقال أبو فراس الحمداني:

لنا الصدر دون العاملين أو القبر
ونحن أناس لا توسط بيننا

أخذه أبو العلاء، فقال:

مليكا في المعاشر أو أبيلا
وأصبح واحد الرجلين إما

وقال بديع الزمان الهمذاني:

لو كان طلق المحييا يمطر الذهبا
والليلث لو لم يصد والشمس لو نطقا
وكاد يحكيك صوب الغيث منسوبا

والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقا

أخذ أبو العلاء نصف شطر منه، وقصرأي تقصير، فقال:

إذا قيل بحر فهو ملح مكرر
وأنت نمير الجود عذب الشمائل

وقال أبو حيّة النميري:

ولما أبىت إلا التواء بودها
شربنا برنق⁽⁶⁾ من هواها مكرر
وتکديرها الشرب الذي كان صافيا
وكيف يعاف الرنق من كان صاديا

والبيتان في غاية الحسن، إلا أن أبي العلاء ضمن معناهما في بيت، فقال:

ولما أن تجهمني مرادي
جريت مع الزمان كما أراد

وقال أبو الشيسص:

أجد الملامة في هواك لذيذة
طمعاً لذكرك فليلمني اللوم

(6) الرنق والبرنق: الكدر.

أخذه أبو العلاء فقال:

لُمْ بِيَقْ غَيْرُ الْعَذْلِ مِنْ أَسْبَابِهِمْ فَاحْبَبْ مِنْ يَدْنُو إِلَيْ عَذْلُوا
وقال أبو الشمقمق في حراقة⁽⁷⁾ طاهر بن الحسين:

عجَبْتْ لِحَرَاقَةَ ابْنَ الْحَسِيرِ لَنْ كَيْفَ تَعْوُمْ وَلَا تَخْرُقْ
وَبَحْرَانَ مِنْ تَحْتَهَا وَاحِدٌ وَآخِرَ مِنْ فَوْقَهَا مَطْبَقٌ
وَأَعْجَبْ مِنْ ذَاكَ عِيَّدَانَاهَا وَقَدْ مَسَّهَا كَيْفَ لَا تَوْرُقْ

أخذ أبو العلاء البيت الثالث، وزاد فيه بأن بين علة عدم إيراق العود. وأحسن التعليل، فقال:

مِنْ كُلِّ مِنْ لَوْلَا تَسْعُرْ بِأَسْهِ لَا خَضْرٌ فِي يَمْنَى يَدِيهِ الْأَسْمَرِ
وَقَالَ آخِرُ فِي الْحَمَامِ، وَيُنْسَبُ لِلْمَنَازِيِّ:

شَجِيْ قَلْبُ الْخَلَيِّ فَقِيلَ غَنَّيْ وَبَرْحُ الْشَّجِيْ فَقِيلَ نَاحَا
قَصَرُ أَبُو الْعَلَاءِ فِي أَخْذِهِ فَقَالَ:

فَقَلَتْ تَغْنِيْ كَيْفَ شَتَّتْ فِيْنَمَا غَنَّاؤُكَ عَنْدِي يَا حَمَامَةَ إِعْوَامِ
وَقَالَتْ وَلَادَهُ بْنَ الْمَسْكَفِيِّ:

تَرَقَبْ إِذَا جَنَ الظَّلَامُ زِيَارَتِي فَإِنِي رَأَيْتُ اللَّيْلَ أَكْتَمَ لِلْسَّرِ
وَبِالْبَدْرِ لَمْ يَطْلُعْ وَبِالنَّجْمِ لَمْ يَسْرِ وَبِي مِنْكَ مَا لَوْ كَانَ الشَّمْسُ لَمْ تَلْعِ

(7) الحراقة: سفينة فيها مرامي نيران، يرمي بها العدو.

وقال أبي العلاء:

منك الصدور ومني بالصدور رضا
في منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت
ولم أدر أيهما أخذ من الآخر، لاجتمعهما في عصر واحد. ولا يبعد أن يكون من
الوارد، إلا أن قول ولادة أبلغ! أما قول أبي العلاء:

مني إليك مع الرياح تحية مشفوعة ومع الوميض رسول
فلا يُعَدُّ من السرقة في شيء، وإن سبقه غيره إليه؛ لأن إرسال التحية مع النسيم أو
البرق من المعانى الشائعة التي تداولتها الشعراء، ولم تزل تداولها. وإنما يظهر
التفاضل بينهم فيها بحسن سبکها وإبرازها في اللفظ المقبول، والتلطف في
تصويرها. ولهذا تركت التنبية عما وقع في شعره منها، كما أنه لم أتعرض لما خفي
ودقّ من سرقاته؛ لئلا يمر ناظر عليه من غير ثبتٍ فينكره، ويرميني بالخطأ أو
التحامل.

واعلم أن ما ذكرناه عن المعري في هذا الباب قلما يخلو منه شاعر قديم
أو حديث، ولستنا بواصلين فيه إلى حد الجزم بأنه تعمّد سرقته؛ إذ قد يُعرض
المعنى للشاعر فينظمها، ولا يمر بخاطره وقت نظمها أنه مسبوق به، وربما كان
مما لم يقف عليه في شعر غيره.

وباب التوارد واسع، كما وقع لطرفة بن العبد وامرئ القيس في قوله:
وقفا بها صحيبي علي مطيمهم يقولون لا تهلك أسى وتجمّل

فأقى به طرفة في معلقته مغيّراً لقافيته فقط، فقال: "وَتَجَلِّي بَدْلٌ وَتَجَمَّلٌ"، وثبت عند الرواية أنه لم يطلع عليه قبل ذلك. وقال عليٌّ بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح:⁽⁸⁾ "كان محمد بن وكيع متأدباً ظريفاً، ويقول الشعر، وعمل كتاباً في سرقات المتنبي، وحاف عليه كثيراً. وسألني يوماً أن أخرج معه، واستصحب معيّناً وأمره ألا يغنى إلا بشعره، فخَنَّى:

ي ز داد م ث ل ك ح س نا	ل و ك ان ك ل ع ل ي ل
ي و د ل و ك ان م ض ن ي	ل ك ان ك ل ص ح ي ح
ص ل أ ك م ل الن ا س ح ز ن ا	ي ا أ ك م ل الن ا س ح س ن ا
و ج ه ب ه ع ن ك أ غ ن ي	غ ن ي ت ع ن ي و م ال ي

فقلت: أتشغل عليك المؤاخذة؟ فقال: لا. فقلت: أبياتك مسروقة؛ الأول من قول بعضهم:

ك م ا ت ز داد أ ن ت ع ل ل الس ق ا م	و ل و ك ان ال م ر ي ض ي ز ي د ح س ن ا
ش كا ي ته م م ن ال ن ع م ال ج س ا م	ل م ا ع ي د ال م ر ي ض إ داً و ع د د ت

والثاني من قول رؤبة:

م س ل م ⁽⁹⁾ ل ا أ ن س ا ك م ا ح ي ي ت	ل و أ ش ر ب ال س ل و ا ن م ا س ل ي ت
م ال ي غ ن ي ع ن ك و ل و غ ن ي ت ⁽¹⁰⁾	

(8) ابن القارح هذا هو الذي أرسل برسالته المشهورة لأبي العلاء المعري، فأجابه عليها برسالة الغفران.

(9) يخاطب مسلمة بن عبد الملك.

(10) روایة دیوان رؤبة: "ما بی غنی عنك وإن غنیت".

فقال: والله ما سمعت بهذا. فقلت: إذا كان الأمر على هذا، فاعذر المتنبي على مثله، ولا تبادر إلى الحَطْ عليه، ولا المؤاخذة له؛ والمعاني يستدعي بعضها بعضاً "انتهى".

ولابد لنا قبل ختم هذا الباب من ذكر نوع يعده كثيرون من السرقة
وليس منها،**كقول الطغرائي:**

وژی شطاط کصدر الرمح معتقل ېمثله غیر ھیاب ولا وکل

وقول الحريري في مقامته الرابعة والأربعين من قصيدة يائية:

وذا شطاط مصدر الرمح معتقل صادفته ٩٦ يشكوا من الحدب

قال الصفدي: "ومثل هذا لا يعد سرقة؛ لأن المعنى ليس ببديع، ولا لفظه بفظيع⁽¹¹⁾، ولا الطغرائى بعاجز عن الإتيان بمثله، بل جرى على لسانه، ونسى أن هذا لغٍيره، لعدم الاحتفال بأمره إذ هو ليس بأمر كبير. وهذا كثير الوقوع للناس، لا يكاد يسلم الفحول منه" انتهى كلامه..

وقال التنوخي في زهر الربيع: "ومما يعد سرقة وليس بها، اشتراك اللفظ المتعارف، كقول عنترة:

وخيـل قد دلفت لها بخيـل عليهـا الأـسد تهـتـصـر اـهـتـصـارـا

أي: عظيم. (11)

وقالت الخنساء:

وخيـل قد دلفـت لها بـخيل فـدارـت بـين كـبـشـيهـا رـاحـاهـا
انتـهـيـهـ.

قلـتـ: وتحـقـيقـ المـقامـ أـنـ الـكـلامـ الـمـأـخـوذـ يـشـترـطـ فـيـهـ أـلـاـ يـكـونـ ذـاـ مـعـنـىـ
كـبـيرـ أوـ لـفـظـ بـالـغـ حـدـداـ مـاـ مـنـ الرـشـاقـةـ، فـإـذـاـ أـدـمـجـهـ الشـاعـرـ فـيـ بـيـتـهـ جـاءـ بـهـ غـيرـ
مـقـصـودـ لـذـاتـهـ، بـلـ يـجـعـلـهـ كـالـتـوـطـئـةـ مـلـعـنـىـ آـخـرـ مـقـصـودـ لـهـ، يـبـنـيـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ.
وـيـظـهـرـ لـكـ ذـلـكـ فـيـماـ اـسـتـشـهـدـ بـهـ الصـفـديـ وـالـتـنـوـخـيـ، وـهـوـ كـثـيرـ فـيـ شـعـرـ الـعـربـ
وـالـمـحـدـثـيـنـ، وـقـدـ وـقـفـتـ مـنـهـ عـلـىـ جـمـلـةـ صـالـحةـ، لـوـ جـمـعـتـ لـجـاءـتـ رـسـالـةـ لـطـيفـةـ،
كـقـولـ الرـاعـيـ التـمـيـريـ:

فـتـىـ يـشـتـريـ حـسـنـ الثـنـاءـ بـمـالـهـ إـذـاـ مـاـ اـشـتـرـىـ الـمـخـزـاـةـ بـالـمـجـدـ بـيـهـسـ
وـهـوـ مـثـلـ قـولـ الـأـبـيـرـ:

فـتـىـ يـشـتـريـ حـسـنـ الثـنـاءـ بـمـالـهـ إـذـاـ السـنـةـ الشـهـباءـ⁽¹²⁾ أـعـوزـهـاـ القـطـرـ
وـتـبـعـهـاـ أـبـوـ نـوـاسـ، فـقـالـ:

فـتـىـ يـشـتـريـ حـسـنـ الثـنـاءـ بـمـالـهـ وـيـعـلـمـ أـنـ الـدـائـرـاتـ تـدـورـ
وـقـولـ درـيدـ بـنـ الصـمـمـةـ:

أـمـرـتـهـمـ أـمـرـيـ بـمـنـعـرـجـ اللـوـيـ فـلـمـ يـسـتـبـيـنـواـ الرـشـدـ إـلـاـ ضـحـىـ الغـدـ

(12) السنـةـ الشـهـباءـ: الـكـثـيرـ الـثـلـجـ الـجـدـبـةـ، وـالـشـهـباءـ أـمـثـلـ مـنـ الـبـيـضـاءـ، وـالـحـمـرـاءـ أـشـدـ مـنـ الـبـيـضـاءـ.
وـسـنـةـ غـيـرـاءـ: لـاـ مـطـرـ فـيـهـاـ.

وهو مثل قول المتلمس:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ولا أمر للمُغضي إلا مُضيئ
وفي هذا القدر كفاية. والكلام في السرقات الشعرية وأنواعها، واستيعاب
ما قيل فيها، لا يتسع له مثل هذا المختصر؛ فإذا منَ الله بتوفيقه، وكان في
العمر مُهلة، وضعنا فيها رسالة تستقل بجمع شتاتها، وتفصيل ما أجمل منها.
ومن غريب ما وقفت عليه من ملاحظاتهم، ما رواه عليٌّ بن العباس
النوبختي، قال: قال لي البحترى: أتدرى من أين أخذ الحسن⁽¹³⁾ قوله:
وَلَمْ أَدْرِي مَنْ هُمْ غَيْرُ مَا شَهِدْتُ بِهِ بِشَرْقِي سَابَاطُ الدِّيَارِ الْبَسَابِسِ
فقلت: لا، فقال: من قول أبي خراش:
وَلَمْ أَدْرِي مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رَدَاءَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلَّ عنْ مَاجِدِ مَحْضِ
فقلت: المعنى يختلف. فقال: إنما نرى حذو الكلام واحداً وإن اختلف المعنى.
انتهى.

قلت: إذا كان مراد البحترى مجرد البيان، فقد لاحظ ملاحظة
دقيقة، وإذا كان قصده الحط من أبي نواس والنعي عليه، فقد - لعمري -
ركب متن عشواء، وتخطب في ظلماء؛ فإن احتذاء كلام العرب مطلوب في
البلاغة، وما حث العلماء على إكثار النظر في أشعارها واستظهارها إلا

(13) الحسن هو أبو نواس.

توصلاً إلى ذلك. ولو لا محاولته ما صبرنا على الغدائر المستشرزات، والقنوا
المتعشّكل؛ بل لو لم يُصلّ البحترى شعره بتلك المأسحة العربية، ما كانت له الديباجة
الغريبة التي انفرد بها بين معاصريه، وبأذنها أهل طبقته. والله أعلم.

مأخذ الشعراء من شعره

القول في هذا الباب كالقول في سابقه؛ فلهذا نقتصر على ذِكْر ما
حضر منه، دون استيعاب سائره. فمنه قول أبي العلاء:

لَا تطلبِين بآلَةِ لَكِ رفعَةَ
قلمِ البليغِ بغيرِ حظِ مغزَلِ
هذا لَهُ رمحٌ وَهذا أعزَلِ
سُكُنِ السماِّ كَانَ السماِّ كلاهُمَا
أَخْذَهُ أَبُو إِسْحَاقِ الغَزِيِّ، فَقَالَ:

شانِ البياضِ وزانِ الشيبِ والشنبَا
رُؤوسُهُنَّ وأَقْلَامُ السَّعِيدِ ظبَا
وَالْحَسْنَ وَالْقَبْحَ قَدْ تحوَّلُوهُمَا صَفَةَ
ظبا المُخَارِفَ⁽¹⁾ أَقْلَامُ مَكْسُرَةَ
وَقَالَ أَبُو العَلَاءِ يَصِفُ خِيلًا:

وَلَمَّا مِنْ يَسِّرَ سَابِقُهُنَّ شَيْءَ
أَخْذَهُ ابْنُ حَمْدَيْسٍ فَقَالَ وَأَجَادَ:
ولَوْ كَانَ يَرْغُبُ فِي فَرَاقِ رَفِيقٍ
وَيَكَادُ يَخْرُجُ سَرْعَةً مِنْ ظَلَاهُ

⁽¹⁾ يقال: رجل مخارف، بالمعجمة، ومحارف بالمهملة وبفتح الراء فيها، أي: محدود ممنوع.

وقال أبو العلاء:

إذا اشتفت الخيل المناهل أعرضت

أخذه الطغرائي فقال:

ونفس بأعقاب الأمور بصيرة

وتأنف أن يشقى الزلال غليلها

وقال أبو العلاء:

وما ازدهيت وأثواب الصبا جدد

أخذه الطغرائي أيضاً فقال:

لم أرتض العيش والأيام مقبلة

وقال أبو العلاء:

لم وافقتهم في اختلاف من زمانكم

أخذه الطغرائي فقال:

مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع

والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل

قال الصفدي: ولكن قول المعربي ألطاف عبارة، وأحسن شارة

وإشارة؛ لأن الطغرائي أغرب عن لفظتي رأد والطفل، وعدوبة الألفاظ أمر

مهم في البلاغة. انتهى. وقد ناقشه بدر الدين الدمامي في "نزول الغيث"

بما لا يخلو إيراده من فائدة، ونص عبارته: "أقول: الإغراب في اللفظ، هو

الإتيان به غريباً، وقد نص بعض الأئمة على أن الغرابة كون الكلمة وحشية غير ظاهرة المعنى، ولا مأنوسية الاستعمال؛ فمنه ما يحتاج في معرفته إلى أن ينقر ويبحث عنه في كتب اللغة المبسوطة، ثم الغريب منه حسن، وهو الذي لا يعاب استعماله عند العرب؛ لأنه لم يكن وحشياً عندهم، مثل أشمَّخَرْ واقمطَرْ، ومنه قبيح يعاب استعماله مطلقاً، ويسمى الوحشى الغليظ؛ وهو أن يكون، مع كونه غريب الاستعمال، ثقيلاً على السمع، كريهاً في الذوق، ويسمى المتوعر أيضاً، مثل اطلخَنْ الأمر.

وعلى كل تقدير فلا نسلم أن رأد والطفل من الغرابة في شيء، كما ادعاه الصفدي. وفي قوله: وعدوبة الألفاظ أمر مهم في البلاغة، قرينة دالة على أنه أراد أن الرأد والطفل من الغريب المستكره في الذوق، المسمى بالمتوعر. وظاهر أن ذلك خطأ نشاً من سوء الذوق، وعدم المعرفة بكلام القوم، والإعراض عن التدبر لاصطلاحهم" انتهى كلامه.

وقال أبو العلاء:

وأغدو ولو أن الصبح صوارم وأسرى ولو أن الظلام جحافل

أخذه عفيف الدين التلمساني فقال:

أسير ولو أن الصباح مواكب وأسرى ولو أن الظلام قتام

وقال أبو العلاء في سيف:

ودبت فوقه حمر المنيا ولكن بعدما مسخت نمـالا

أخذه الوزير أبو محمد عبد الغفور فقال:

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا وكلن بعدما مسخت نمالا

وقال أبو العلاء:

والنجم استصغر الأ بصار رؤيته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر

أخذه التهامي فقال:

لم أخلف إلا للعلو وإنما تخطي السها لعلوه الأ بصار

وقال أبو العلاء:

وفضل الشمس في الأيام باق وإن مدت من الكبر للعبا

أخذه ابن سناء الملك، فقال من قصيدة يهجو بها الشمس:

أنت عجوز لم ترجمت لي وقد بدا منك لعاب يسيل

وقال أبو العلاء:

خفف الوطء ما أظن أديم إلا رض إلا من هذه الأجساد

أخذه مهيار الديلمي فقال:

رويدا بأخفاف المطبي فإما تداس جباء في الثرى وخددو

وقال أبو العلاء فأجاد:

المقودون بنجد نار بادية لا يحضرون فقد العز في الحضر

إذا همى القطر شبتها عبيدهم تحت الغمائم للسارين بالقطر
 أي إذا أطضا المطر نارهم شبتها عبيدهم بالقطير، وهو العود ليهتمي الساري
 برائحته. قال الصفدي: وعليه اعتمد ابن عباد في قوله، على أنه ما فارق المغني،
 ولا خالف المعنى؛ وهو:
 المكثرين من الكباء⁽²⁾ بنارهم لا يوقدون بغيره للسارين
 وقال أبو العلاء:
 سألن فقلت مقصداً سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا
 أخذه عصرينا سليم رحمي بك رحمة الله، فقال في محمد شريف باشا وزير
 مصر:
 يقول القوم مطلبكم عزيز فقلت نعم ومقصداً شريف
 وقال أبو العلاء:
 تحيّة كسرى في السناء وتُتبع لربعك لا أرضي تحيّة أربع
 أخذه أحمد شوقي بك، فقال في مدح السلطان عبد الحميد:
 سلام الله لا أرضي سلامي فكل تحيّة دون المقام

(2) الكباء ككساء: عود البخور، أو ضرب منه.

مقارنة بعض معانيه بمعاني غيره

قال أبو العلاء:

جهل بمثلك أن يزور بلادنا
أو ما رأيت الليل يلقي شبهة
يختال بين أساور وخلالن
حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زيدون:

قعيديك أني زرت نورك واضح
هيبيك اعتربت⁽¹⁾ الحي واشيك هاجع
فكيف اعتسفت الهول خطوط مدمج
وعطرك نمام وحليلك مرجف
وفرعك غريب وليلك أغضف⁽²⁾
وردفك رجراج وخصرك مُخطَّف⁽³⁾

أقول: مدار المعنى في الشعرتين على التعجب من مخاطرة هذه المعشوبة في زيارة صاحبها. فتناوله كلا الشاعرين، وتلاعب به، فأبرزه في الصورة التي شاء له اقتداره إبرازه فيها؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله، وتساوياً في

(1) المعتبر: الزائر.

(2) الأغضف: المظلوم.

(3) المخطف: المنطوي.

الإحسان، فلا أرى للترجيح مدخلًا بينهما. ويلوح لي أن كليهما اعتمد في توليد معناه على قول أبي الطيب:

قلق المليحة وهي مسك هتكها
ومسيرها بالليل وهي ذكاء
ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقيق، وإطالة التأمل.
وقال أبو العلاء:

آل أميرك لا يسري الخيال لنا
إذا هجعنا فقد أسرى وما علما
وقال ماني الموسوس وقد سأله محمد بن طاهر إجازة قول الشاعر:

حجبوه عن الرياح لأنني قلت يا ريح بلغيها السلام
فقال:

فتتفست ثم قلت لطيفي ويک لو زرت طيفها إماما
أقول: خلاصة المعنى المبالغة في الحجر عليها. فادعى أبو العلاء أن ولی أمرها بالغ في حبها، حتى حلف على خيالها ألا يزور حبيبها، ولكن الخيال غافله وزاره، ولضناه في حبه نحل، فخفى على من يترصد رؤيته، وقصّر ماني فلم تصل يده إلى الخيال. وبيتها على ما فيهما من حسن التخييل وعدوّة الألفاظ ينحطان عن بيتي أبي العلاء.

وقال أبو العلاء:

ذكرت بها قطعا من الليل وافية مضى كمضى السهم أقصر من قطع

وقال آخر:

ظللنا عند دار أبي نعيم يوم مثل سالفة الذباب

وقال آخر:

ويوم كابهامقطة مزین إلى صباح غالب لي باطله

فأبو العلاء شبه الليل في قصره بالقطع، وهو النصل الصغير، والثاني شبه يومه في قصره بعنق الذباب. والثالث شبهه ببابهمقطة. قال أبو يعقوب النحوي: وهذا أشد مبالغة من قول أبي العلاء، إلا أنه أغرب في الصنعة، من حيث إنه ذكر قطع الليل وقطع السهم، جاعلاً مضي الليل كمضي السهم. ٥.١.

معتقدہ

الاختلاف والجدل حوله

لم يختلف الناس في رجل اختلافهم في أبي العلاء، ولا تراوحوا بشخص بين الكفر والإيمان تراوحهم به. فلا غرور إذا قضى مثل هذا التناقض على الباحث في أمره ألا يتلقى كل ما قيل عنه بالقبول، وأن يجنب إلى مقارنته ما نطق به بما نقل عنه؛ توصلاً إلى حكم بات فيه، إن خيراً فخير، وإن شرًا فشر. وقد تأملت المختلفين فيه، فوجدتتهم على ثلاثة أقسام:

فريق متزندقون، يُكفرونَه ويحبونَه لكرهه، ومنهم متفرنجة هذا العصر؛ أو مؤمنون يبغضونه لذلك.

وفريق يذهبون إلى صحة إيمانه، وربما تغالوا فألحقوه بالأولياء الواثلين، ورَوْفاً له الكرامات.

وآخرون متحيرون أمسكوا عنه، ووكلوا أمره لخالقه. وأنا بادئ بذكر أقوالهم فيه، ثم معقبها بما ثبت من أقواله، مقسمة إلى فصول، كما فعلت بأخباره، فأقول: ذكر غير واحد أنه كان متهمًا في دينه، وأنه اجتاز

باللاذقية ونزل ديرًا كان به راهب له علم بأقوال الفلسفه، فسمع كلامه، فحصل له بذلك شكوك. واستدلوا أيضًا على إلحاده بتجافيه عن أكل الحيوان خمساً وأربعين سنة، قالوا: وهذا من اعتقاد الحكماء المتقديم؛ لأنهم يرون في ذبح الحيوان تعذيباً له. وسيأتي الكلام على ذلك في فصل مستقل. ونقلوا عن تلميذه أبي زكريا التبريزى أنه قال: قال لي المعرى مرة: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أقف على اعتقاده. فقلت له: ما أنا إلا شاک. فقال: وهكذا شيخك. وقال في حقه الباخري في دُمِيَّة القصر: "ضرير ما له في أنواع الأدب ضريب، ومكفوف في قميص الفضل ملفوف، ومحجوب خصمه الألد محجوج. وقد طال في ظلال الإسلام أناوه، ولكن ربما يترشح بالإلحاد إناؤه؛ وعندنا خبر بصره، والله أعلم ببصيرته، والمطلع على سريرته؛ وإنما تحدثت الألسن بإساءته، ككتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن، وعنونه بالفصل والغايات، ومحاذاة السور والآيات، وأظهر من نفسه تلك الخيانة، وجَدَ تلك الهوسات كما يُجَدُ العَيْنُ الصليانة، حتى قال فيه القاضي أبو جعفر قصيدة أولها:

كُلُّبُ عَوِيْ بِمَعْزَةِ النَّعْمَانِ مَا خَلَاعِنَ رِبْقَةِ الإِيمَانِ
أَمْعَرَةِ النَّعْمَانِ مَا أَنْجَبَتْ إِذَ أَخْرَجَتْ مِنْكَ مَعْلَةَ الْعُمَيْانِ
انتهى.

وممن حكم بزندقه شمس الدين الذهبي، وأطّال في ترجمته، وذكر له فيها قبائح. قال الصفدي: وأظن الحافظ السّلفي قال إنه تاب وأناب. وتحامل عليه أبو الفداء في تاريخه، وغض منه كثيراً؛ حتى اضطر ابن الوردي

للرد عليه. وفي الكوكب الثاقب أن القاضي المنازي دخل عليه فذكر ما يسمعه من الطعن فيه، ثم قال: ما لي وللناس، وقد تركت لهم دنياهم، فقال المنازي: وأخراهم أيضًا، فقال: يا قاضي! وأخراهم أيضًا. وجعل يكررها. وفي هذه الرواية تحامل من المؤلف؛ فقد رواها ابن خلkan في ترجمة المنازي على أنه قال له: والآخرة أيضًا، وجعل يكررها، ويتألم لذلك، وأطرق، فلم يكلمه إلى أن قام.

ونقل ياقوت عن رسالة الغفران أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما أجل أهل الذمة عن جزيرة العرب شق ذلك على الجالين، فيقال: إن رجلاً من يهود خير، يعرف بسمير بن أدكن، قال في ذلك:

رويدك: إن الماء يطفوا ويرسب
لتشبع؛ إن الزاد شيء محبب
 علينا؛ ولكن دولة ثم تذهب
 لنا رتبة الباقي الذي هو أكذب
 وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا

يصلو أبو حفص علينا بدرة
 كأنك لم تتبع حمولة مأقط
 فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم
 ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا
 مشيتם على آثارنا في طريقنا

ثم قال ياقوت: وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحله هذا اليهودي، أو أن إيراده مثل هذا، واستلذاذه به؛ من أمارات سوء عقيدته، وقبح مذهبة. انتهى.

والعجب من ياقوت، كيف يزعم هذا الزعم، ومن أين أتي له أن هذه الأبيات من شعره، أو أنه أوردها استلذاذه بها، وهو إنما جاء بها في

أثناء كلامه على الزنادقة وتقبیح أفعالهم. وأخر أن يكون إيراده لها في عرض إنكاره عليهم، من أبين الأدلة على حسن عقیدته. وليست رسالة الغفران بعيدة على من يريد تحقيق ذلك.

وسئل فتح الدين بن سيد الناس: ما كان رأي الشيخ تقى الدين بن دقیق العید فیه؟ فقال: كان يقول: هو في حیرة، فقال الصفدي: وهذا أحسن ما يقال في أمره؛ لأن في كلامه تناقضًا كثیراً. وإلى الله ترجع الأمور. هذا ما وقفت عليه من كلامهم في سوء عقیدته، إلا قلیلاً منه سيرد عليك فيما يأتي من الفصول.

ونقلوا عن رسالة ابن العدیم أنه قال: إني اعتبرت من ذم أبي العلاء ومن مدحه، فوجدت كل من ذمه لم يره ولا صحبه، ووجدت كل من لقيه هو المادح له. وقال ابن الوردي بعد ما أورد مراسلاته مع القاضي أبي الطیب الطبری التي مر ذکرها في أخباره: "وشهادة أبي الطیب في الشیخ مقدمة على شهادة الغیر، وحسن الظن خصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحدیث، وهو لا يأتي إلا بخیر. وكان شیخنا عبس حسن العقیدة؛ واعتراف الطبری له ومدحه يکفیه.

شهادة الطبری الحَبْرُ کافية
أبا العلاء فقل ما شئت أو فذر
من أغمد السيف عنه كان في دعوة
ومن نضى السيف قابلناه بالطبر

انتهى كلامه. قوله: قابلناه بالطبر فيه توریة، والطَّبِرُ هو الطبریین،
معرب، ومعناه: فأس السرح؛ لأن فرسان العجم كانت تحمله معها تقاتل

به، ويقال له عندهم التّبَرُّ. كما ذكر المُحْبِي في "قصد السبيل؛ فيما في اللغة العربية من الدخيل".

ونقلوا أيضاً عن رسالة ابن العديم المذكورة أنه قال: قرأت بخط أبي اليسير شاكر المعري في ذكره، وكان رضي الله عنه يرمي من أهل الحسد له بالتعطيل، ويعمل تلاميذه وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمونها أقاويل الملحدة؛ قصدًا لإهلاكه، وإثارةً لإتلاف نفسه، فقال رضي الله عنه:

قال الصفدي: "أما الموضوع على لسانه، فلعله لا يخفى على من له لب. وأما الأشياء التي دونها، وقال بها في لزوم ما لا يلزم، وفي استغفار واستغفرى، فما فيه حيلة. وهو كثير، فيه ما فيه من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوت. ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله. وحُكىَ لي عن الشيخ كمال الدين بن الزملكانى أنه قال في حُقّْه: هو جوهرة

جاءت إلى الوجود وذهبت" انتهى كلام الصفدي. قلت: أما استغفر واستغفري فلم أقف عليه؛ فإن كان ما فيه يشبه ما في لزوم ما لا يلزم، فسيرد عليه ما يزيل الشك فيه.

وقال ابن الوردي في تاريخه: "وأنا كنت أتعصب له لكونه من المغرة، ثم وقفت له على كتاب استغفر واستغفري فأبغضته، وازدبت عنه نفرة، ونظرت له في كتاب لزوم ما لا يلزم، فرأيت التبّري منه أحزم؛ فإن هذين الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمهما عالماً حائزاً، ومذبذباً نافراً، يقرُّ فيهما أن الحق قد خفي عليه، ويود لو ظفر باليقين فأخذه بكلتا يديه؛ كما قال في مرثية أبيه:

طلبـتـ يـقـيـنـاـ مـنـ جـهـيـنـةـ عـنـهـمـ
وـمـ تـخـبـرـيـ يـاـ جـهـيـنـ سـوـيـ الـظـنـ
فـإـنـ تـعـهـدـيـ لـأـزـالـ مـسـائـلـاـ
فـإـنـ مـأـعـطـ الصـحـيـحـ فـأـسـتـغـنـيـ

ثم وقفت له على كتاب "ضوء السقط" الذي أملأه على الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني، الذي لازم الشيخ إلى أن مات، ثم أقام بحلب، يروي عنه كتبه، فكان هذا الكتاب عندي مصلحاً لفساده، موضحاً لرجوعه إلى الحق وصحة اعتقاده؛ فإنه كتاب يحكم بصححة إسلامه مؤلاً، ويتلوا ملن وقف عليه بعد كتبه المتقدمة "ولآخرة خير لك من الأولي" فلقد ضمن هذا الكتاب ما يثلج الصدر، ويلذ السمع، ويقرر العين، ويسر القلب، ويطلق اليد، ويثبت القدم؛ من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بريته، والتقرب إلى الله بمدائح الأشراف من ذريته، وتبجيل الصحابة، والرضا عنهم، والأدب عند ذكر ما يتلقى منهم،

وإيراد محسن من التفسير، والإقرار بالبعث والإشراق من اليوم العسير، وتضليل من أنكر المعاد، والترغيب في أذكار الله والأوراد، والخضوع للشريعة المحمدية وتعظيمها. وهو خاتمة كتبه، والأعمال بخواتيمها. وقد يعذر من ذمه، واستحل شتمه، فإنه عوّل على مبادئ أمره، وأوسط شعره؛ ويغفر منْ أحبه، وحرّم سبّه، فإنه اطلع على صلاح سره، وما صار إليه في آخر عمره؛ من الإنابة التي كان أهلها، والتوبة التي تجحب ما قبلها. وكان يقول رحمة الله: أنا شيخ مكذوب عليه" انتهى كلامه بنصه.

قلت: وليس في لزوم ما لا يلزم ما يصل بالإنسان إلى حد التبرير منه، كما ذكر الشيخ، والبيتان اللذان رواهما من مرثية أبيه لا يدلان على ما ذهب إليه، وإنما مراده أن علم الغيب محجوب عنه، فلا يدرى عن أبيه: فهو في شقاء أم نعيم، وهما مثل قوله من هذه القصيدة:

جهلنا فلم نعلم على الحرص ما الذي يراد بنا والعلم لله ذي المتن

قال شارحه أبو يعقوب النحوي: "وهذا على معنى أن أمر السعادة والشقاوة مطوي عن العباد، وأن الأمور كلها بمشيئة الله تعالى، وهي مستورة. ولهذا كره السلف أن يقول القائل: أنا مؤمن حقاً، بل أنا مؤمن إن شاء الله تعالى؛ لا على معنى الشك في الإيمان والاعتقاد، بل على معنى الخوف من سوء العاقبة، وخفاء علم الله تعالى في ذلك، وانطواء أمر الخاتمة" انتهى.

وذكر ابن الوردي في تاريخه أياً: أن حساده أغروا به وزير حلب، فجهز لإحضاره خمسين فارساً ليقتله، فأنزلهم أبو العلاء في مجلس له بالمعرة، فاجتمع بنو عمه إليه، وتألموا لذلك، فقال: إن لي ربّاً يمنعني، ثم قال كلاماً منه ما لا يفهم، وقال: الضيوف، الضيوف! الوزير، الوزير! فوقع المجلس على الخمسين فارساً فماتوا، ووقع الحمام على الوزير بحلب فمات؛ فمن الناس من زعم أنه قتلهم بدعائه وتهجده. ومنهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده. وهذه القصة رواها صاحب الكوكب الثاقب بزيادة تفصيل، فذكر عن الغزالى أنه قال: حدثني يوسف بن علي بأرض الهركار، قال: دخلت معيرة النعمان، وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب إليه بأن المعرى زنديق لا يرى إفساد الصور، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء العقل، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة، وبعث خمسين فارساً ليحملوه، فأنزلهم أبو العلاء دار الضيافة، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان، وقال: يا ابن أخي قد نزلت بنا هذه الحادثة، وأملك محمود يطلبك، فإن منعناك عجزنا، وإن أسلمناك كان عاراً علينا عند ذوي الذمam، ويركب تُتوخَ الذلُّ والعار. فقال: هُونَ عليك يا عم، ولا بأس عليك؛ فلي سلطان يذب عنِّي. ثم قام فاغتسل وصلى إلى نصف الليل، ثم قال لغلامه: انظر إلى المريخ أين هو؟ فقال: في منزلة كذا وكذا. فقال: زنه واضرب تحته وتدأ، وشد في رجلي خيطاً، واربطه إلى الود. ففعل غلامه ذلك، فسمعناه وهو يقول: يا قدِيم الأزل، يا علة العلل، يا صانع المخلوقات، وموْجِد الموجودات؛ أنا في عزك الذي لا يرام، وكنفك الذي

لا يضام، الضيوف الضيوف، الوزير الوزير! ثم ذكر كلمات لا تفهم، وإذا بهذه عظيمة. فسأل عنها، فقيل: وقعت الدار على الضيوف الذين كانوا بها، فقتلت الخمسين. وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر: لا تزعجوا الشيخ، فقد وقع الحمام على الوزير. قال يوسف بن عليٌّ: فلما شاهدت ذلك، دخلت على المعرّي، فقال: من أين أتيت؟ فقلت: من أرض الهركاري، فقال: زعموا أنني زنديق، ثم قال: اكتب. وأملأ على أبياتاً من قصيدة أولها:

أستغفر لله في أمري وأوجالي من غفلتي وتوالي سوء أعمالي

ثم ساق صاحب الكوكب الثاقب سبعة أبيات من هذه القصيدة. وسأوردها بتمامها عند الكلام على منظومه؛ فإنها من شعره المفقود. وهذه القصة رواها غير واحد، فلم يذكروا رصده للمربيخ كما هنا، وهو الأشبه بهذهب أبي العلاء؛ فإن من يقف على كلامه في المنجمين وتقبیح أعمالهم، يحكم بأن هذا من الموضوع عليه. والله أعلم.

والخلاصة أن الذي ظهر لي من مطالعة مؤلفاته، أنه لم يكن ملحداً كما يزعمون، بل كان مؤمناً بالله وكتبه ورسله، وإنما كانت تقع له بعض الأحيان أحوال يضيق بها صدره، فينفتح نفثات يوهم ظاهرها، وكان الأولى به تركها. وهي مهما بلغت من الشناعة وال بشاعة لا تصل إلى الكفر والإلحاد، بل فيها ما إذا قارنته بما قاله في ضده لظهر لك جلياً أنه لم يرد ما سبق إلى ذهنك فيه من أول وَهْلة: كإنحائه تارة على الديانات، ومدحه لها

تارة أخرى؛ فإنك لو قابلت بين القولين بإمعان، لأنك ستعتبر بأنه لم يرد بالذم الديانات نفسها، بل أراد من تحليها المتأجرين بها، وكثير ما هم في كل زمن.

وإنما ألي الرجل من جهة حسنته وشانتيه، وولوع جماعة منهم بتقويله ما لم يقل، وإشهاره بما كانوا ينظمونه على لسانه من أقوال المعطلة والزنادقة؛ حتى صارت الأذهان لكتة ما وقر فيها من ذلك، إذا ألقى إليها شيء من شعره فيه إيهام، انصرفت إلى إساءة الظن به. وسيرد عليك من أقوال ما وافق أقوال مشهوري المتصوفة، وكبار الزهاد، حذو القذدة بالقذدة. إلا أنها كتبت لهم، وكتبت عليه، والله في خلقه شؤون. ولهذا اقتصرت في فصول معتقده على ما أثبته في مؤلفاته دون ما رُوي عنه غير معزٌّ لشيء منها، وغالبـه سخافات يتنـزهـهاـ شـعـرـهـ أبي العلاء عنها، ولا يخفى وضعـهاـ عـلـىـ ذـيـ لـبـ، كما قال الصفدي. كنسبـهـ إـلـيـهـ قولـ القـائـلـ:

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله
وتزووجه بنتيه لابنيه في الخنا
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر

وهذا كلام لا يصدر إلا من معتوه فقد رشدـهـ، وحاشـاـ لأـيـ العـلـاءـ أنـ يكونـهـ. ولا يخلو قائلـهـ من أحدـ أمرـينـ: إـمـاـ أنـ يـكونـ مـقـرـاـ بالـشـرـائـعـ، عـالـماـ بأـنـ زـواـجـ الـأـخـ بـأـخـتهـ لمـ يـكـنـ مـحـرـمـاـ فيـ شـرـيـعـةـ سـيـدـنـاـ آـدـمـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، فـيـكـونـ قـوـلـهـ هـذـاـ ضـرـبـاـ مـنـ الـهـذـيـانـ وـالـهـوـوسـ. وـإـمـاـ أنـ يـكـونـ منـكـرـاـ لـهـ، فـيـكـونـ ذـكـرـهـ الزـنـاـ لـاـ مـعـنـىـ لـهـ، فـإـنـ مـعـرـفـةـ الـحـلـالـ وـالـحـرـامـ لـاـ تـتـأـقـىـ إـلـاـ مـنـ الشـرـائـعـ. فـضـلـاـ عـمـاـ فـيـ الـبـيـتـيـنـ مـنـ بـذـاءـةـ وـقـلـةـ أـدـبـ تـنـبـوـ عـنـهـمـاـ نـفـسـ أـبـيـ الـعـلـاءـ. وـلـسـتـ منـكـرـاـ أـنـ ذـكـرـ سـيـدـنـاـ آـدـمـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـ لـرـزـومـ مـاـ لـاـ يـلـزـمـ

بما كنت أحب له عدم ذكره، إلا أنه لا يبلغ في شناعته إلى هذا الحد؛ وغاية ما فيه لومه عليه السلام على أكله من الشجرة، وتسببه في أذى ذريته في الدنيا بخروجه من الجنة. وسيأتي الكلام على ذلك في فصل مستقل. وقد رد على هذين البيتين القاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامه اليماني بقوله:

لعمرك أَمَا فِيكَ فَالقُولُ صَادِقٌ
وَتَكْذِبُ فِي الْبَاقِينَ مَنْ شَطَّ أَوْ دَنَا
كَذَلِكَ إِقْرَارُ الْفَتْنَى لَازِمٌ لَهُ
وَفِي غَيْرِهِ لَغُو كَذَا جَاءَ شَرْعَنَا

وليت القاضي تَثَبَّتَ من نسبة البيتين قبل تكلفه الرد بهذا الشعر الركيك. ونسبوا إليه أشياء أخرى من هذا القبيل أضرَبُتُ عن ذكرها تفادياً عن الاشتغال بالعقبث، إلا أن ألمَ بعضها إماماً فيما يأتي من الفصول لمناسبة. كما أني لم أتعرض لما أخذ عليه في سقط الزند؛ لأنه لا يخرج عن كونه من الغلو الواقع لكثير من الشعراء، وقد كفانا مؤونة البحث فيه بقوله في خطبته: وما وجد لي من غلو علق في الظاهر بآدمي، وكان مما يحتمله صفات الله عز سلطانه، فهو مصروف إليه، وما صلح مخلوق سلف من قبل أو غير أو لم يخلق بعد، فإنه ملحق به، وما كان محضًا في المizin لا جهة له، فأستقيل الله العترة فيه.

وقد أورد شارحه في التنوير بعض أبيات من ذلك في شرح الخطبة. ومما لم يذكره قوله، وهو عندي أشنع ما في سقط الزند:

باهت بمهرة عدنانا فقلت لها لولا الفصيلي كان المجد في مضر

فهذا ولا ريب من محض المَيْن الذي لا جهة له، وقد استقال الله العثرة فيه، والله يغفر مَن يشاء. وما عداه ليس فيه شيء سوى الغلو المفرط. على أنه لم يأت به إلا في أبيات معدودة لا تتجاوز العشرة، ولكن القليل من هذا كثير. وعندى أن لا وجه لاغفاره لقاتلاته، وفي غيره من الكلام مندوحة عنه. ولعله سرى لأبي العلاء من أبي الطيب المتنبي؛ فقد كان ولوغاً بهذا النوع. ومنه قوله:

لـ	ما أتى الظلامات صرن شموسـا
أـ	في يوم معركة لأعياعيسـى
أـ	ما انشق حتى جاز فيه موسـى
لـ	لو كان ذو القرنين أعمل رـأـيه
أـ	أـو كان صادف رأس عازر سيفـه
أـ	أـو كان لـج البحر مثل يـمـينـه

سامح الله أبا الطيب، ما كان أغناه عن هذا الغلو الممقوت، مع قدرته على نظم ما هو أوقع في النفوس، وأخف على الأسماع؛ وأقبح منه قبول ممدوحه له، وإجازته عليه.

ولـأـدـري ما كان عذرـ المـعـزـ في قـبـولـهـ قولـ ابنـ هـانـئـ:

مـاـشـيـتـ لـاـمـاـشـاءـاتـ الـأـقـدارـ	فـاحـكـمـ فـانـتـ الـواـحـدـ الـقـهـارـ
الـلـهـمـ إـلـاـ يـكـونـ مـاـ نـقـلـ عـنـ الـقـوـمـ مـنـ دـعـوـيـ الـأـلـوـهـيـةـ فـيـ الـبـاطـنـ	
صـحـيـحـاـ.ـ وـمـاـ فـيـ سـقـطـ الزـنـدـ دـوـنـ هـذـيـنـ الـقـوـلـيـنـ بـمـراـحلـ.	

وقد رأيت أبا العلاء شدد النكير على ابن هانئ وأضرب به في رسالة الغفران، واستقبح منهم مثل هذا الغلو، فلعله رجع عنه.

وقد عقد الشعالي فصلاً في يديمه لما أخذ على أبي الطيب، جاء فيه
بأشياء مموجحة.

ومع هذا فلم يلهموا بإكفاره كما فعلوا مع أبي العلاء؛ وذلك لما وقر في
النفوس من شهرته بالزندقة، كما ذكرت آنفاً، حتى كادوا يلصقون به كل شعر
من هذا القبيل. وقد رأيت بعضهم يروي له قول المتنبي:

أغایة الدين أن تحفوا شواربكم يا أمّة ضحكت من جهلها الأمّم

هذا ديوان أبي الطيب مشهور متداول في الأيدي، فما ظنك بغير المشهور؟
وكذلك أبو نواس لما كان مشهوراً بالإجاده في وصف الخمر، نسبوا إليه فيها ما لم
يقله، فكثر المنحول في شعره. ونقل عن بعض العلماء أنه كان يقول: أوشك هؤلاء
الرواة أن ينسبوا للمجنون كل شعر فيه ليلي. وقوله هذا ينبغي للأديب أن يتتبّه
له، فلا يقدم على نسبة قول لقائل بسبب اسم اشتهر به، ولو هج بذكره، في شعره؛
فقد كان للشعراء أسماء شائعة بينهم خفت على ألسنتهم، وحلّت في أفواههم،
فكانوا كثيراً ما يأتون بها زوراً، نحو: ليلي، وهند، وسلمي، وددعد، ولبني، وعفراء،
وأروى، وريأ، وفاطمة، ومية، وعلوة، وعائشة، والرباب، وجمل، وزينب،
وأشاههن. ذكر ذلك ابن رشيق، ثم قال: وأما عزة وبشينة فقد حماهما كثير
وجميل، حتى كأنما حرمتا على الشعراء. انتهى.

وكما اشتهر بعض الشعراء بأسماء، اشتهر غيرهم بفنون وأنواع
غلبت عليهم، وسهلت على نفوسهم، فأجادوا القول فيها؛ كأبي نواس في

الخمر، والبحترى في الطيف، وابن المعتز في التشبيهات، وديك الجن في المراثي، وأبى الطيب في الأمثال والحكم، وابن الرومي في الهجاء. بل رأيت بعض شعراء غلبت عليهم ألفاظ استعملوها كثيراً، كأم دَفَر عند المعربي، وابن وَدِي عند الأمير محمود سامي باشا البارودي. ومن تتبع شعر كل شاعر، ربما لا يعدم أمثالها فيه.

فيكون اقتصارنا على ما أثبتته أبو العلاء في مؤلفاته، أدعى إلى الإنفاق، وأبعد عن الاعتساف. واعلم - أرشدك الله - أبى لم أننصر له في بعض المواضع جنوحًا إلى عصبية، أو استرسالًا مع هُوَّي. ولكنني وقفت في الكثير من أقواله على اعتقاد صحيح، وإيمان ثابت لا يخالفه شك. فكان تأويلي ما عداها بما يحتمله اللفظ، أولى من التسرع إلى إكفار مؤمن، والحكم عليه بالزندة، خصوصًا وأن ما يدل على إيمانه صريح في لفظه، والذي يوهم محتمل لوجهين، فَحَمِلْهُ على ما يوافق الصريح من أحد وجهيه أحق وأصوب. فإذا رأيت شيئاً من ذلك فلا تسرع في الإنكار على، بل عليك بتحسين الظن، ومراجعة النظر، تجد ما قلته غير بعيد. وحسبك ما أثاروه على الإمام أبي حامد الغزالى في قوله: ليس في الإمكان أبدع مما كان، حتى وضعوا فيه المؤلفات، وشغلوا الناس بالترهات. ولا شك أنه لم يُرد بقوله هذا ما ذهبوا إليه وتأنلوه. وأبى مسلم يعالج ريب في عقيدة هذا الإمام، وهو حجة الإسلام؟

ولله درُّ أبي العلاء حيث يقول:

جوارك هذا العام اليوم نكبة عليك وليس البين عنه ميسرا

سيعلم ذاك المدعي صحة الهدى متى كان حق أينما كان أخسرا

ويقول:

لهم الله قوما إذا جئتهم
بصدق الأحاديث قالوا كفر

ويقول:

أما في الأرض من رجل لبيب
فيفرق بين إيمان وكفر

وقال أيضاً:

لا تقييد لفظي علي فإني
مثل غريبي تكلمي بالجاز

ومثله قوله:

وليس على الحقائق كل قولي
ولكن فيه أصناف الجاز

معتقده في الله

من زعم أن أبا العلاء كان من منكري وجود الإله جل وعلا، فقد
زعم باطلًا، وأسرف في الشطط، ودلّ على جهله بحقيقة معتقده.
وهيئات أن تنهض له حجة، أو يجد لزعمه مستندًا، لو طالبناه
بالدليل.

ونحن مثبتون في هذا الفصل من أقواله ما ليس وراءه متسع لطاعن، أو
مجال ملتصق، وبادئون منها بثلاثة أقوال، ربما خفي المراد منها على كثيرين،
فأولوها على غير ما ينبغي أن تؤول، ثم تتبعها بما يكشف الرين عن عقيدة
الرجل في خالقه.
أولها قوله:

قلتم لنا صانع حكيم
زعمتم وهو بلا مكان
هذا الكلام له خبيٌّ
قلنا: صدقتم كذا نقول
ولا زمان لأن ألا فقول
معناه ليست لنا عقول

وليس في هذه الأبيات إنكار لوجود الإله، وحسبك منها قوله قلنا:
"صدقتم، كذا نقول" لكن يؤخذ من ظاهرها إثبات الزمان والمكان له

تعالى، وهو ما لا يقول به إلا المجرّمة وأضرابهم، تنزع الله عما يقولون. وقد ذكر صاحب معاهد التنصيص أن الفخر الرازي أورد هذه الأبيات في كتابه الموسوم بالأربعين، وأعقبها بقوله: "وقد هذى هذا في شعره" وقد وقفت على نسختين من هذا الكتاب فلم أجده قال ذلك، فلعل العبارة، تحرفت على صاحب المعاهد، فتوهم منها ما ذكره. ولما كان المقام يحتاج إلى تفصيل لاستيضاح ما يرمي إليه أبو العلاء، اقتضى أن ننقل إليك عبارة الأربعين، ثم نعقبها بما ظهر لنا في هذه الأبيات. قال "الفخر" في مبحث حدوث العالم، وإيراد شبّهات المخالفين وردها:

السؤال الرابع: إذا قلنا كان الله موجوداً في الأزل، وسيكون موجوداً في الأبد، فقولنا "كان" يفيد أن أمراً كان موجوداً وحاصلأ، وقد انقضى وما بقي. ويكون يفيد أن أمراً سيصير موجوداً وحاصلأ، وبعد ما حصل. فإذاً كل ما يصدق عليه أنه كان وسيكون، فهو محكوم عليه بكونه متجدداً متغيراً، فذات الله تعالى لما كان واجب الدوام، ممتنع التغيير، وجب أن لا يصدق عليه أبته أنه كان في الأزل، وسيكون في الأبد، وأنه كائن الآن. ثم لما جربنا عقولنا وجذنها حاكمة بأن كل ما لا يصدق عليه أنه كان قبل وسيكون بعد وأنه كائن الآن، فهو عدم محض. وعند هذا قال المنكرون إنكم لما ثبتم ذاته منزهة عن الجهات والأيون والأوضاع، خرج هذا الإثبات عن العقل، واقترب من العدم المحض؛ ثم إنكم لما ثبتموه منزهاً عن أن يصدق عليه قولنا كان ويكون وهو كائن، فهذا تصريح بالعدم المحض. فإن أدخلتموه تحت قولنا كان وسيكون وهو كائن، اقتضى ذلك الحكم

بكونه متجددًا متغيّرًا، فكيف الخلاص من العقد المحبيرة، والمضائق المضلة المعمية. ونظم المعربي هذا المعنى في شعر له فقال .. انتهى.

ثم أورد الأبيات، إلا أنه روى مكان قوله "زعمتموه"، "ثم زعمتم" وشرع في الرد على هذا السؤال. فقال:

الجواب عن السؤال الرابع: وهو قوله إن كل ما يصدق عليه كان ويكون فهو متجدد متغير، فنقول: المراد من قولنا كان ويكون استمراره مع الأزمنة الآتية والأزمنة الماضية، من غير أن يكون متغيّرًا بحسب تغير هذه الأزمنة؛ وهذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذي نوره الله تعالى بنور هدايته، وإن كان الوهم والخيال يعجزان عنه. انتهى كلامه.

ثم ساق حجج المشايخ علىبقاء الصانع بما يخرج عن قصدنا هنا. ولا يخفى ما في قوله إن هذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذي نوره الله بنور هدايته. فإذا علمت هذا، ثم علمت أن مذهب السلف رضي الله عنهم في الصفات النقلية، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا ونحوها، أنها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا إلا اعتقاد ثبوتها والتصديق بها من غير تفسير ولا تأويل، مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه، لثلا يضاد النقل العقل ظهر لك أن عبارة أبي العلاء إما ترمي إلى هذا المعنى، وتشير إلى هذا القصد؛ فمراده أن مثل هذه الأمور لا تتسع العقول لإدراكتها، بل هي مما استأثر الله بعلمه. وليس في الأبيات ما يمنع من حملها على ذلك. بل كيف يتصور في الرجل اعتقاد التجسيم ونحوه، وهو القائل في موضع آخر:

تعالى الله وهو أجل قدره من الإخبار عنه بالتعالي

ومن يذهب في التنزية إلى هذا الحد لا يتصور فيه اعتقاد التجسيم. ثم اعلم أن مذهب السلف يرجحه كثيرون من المتكلمين. وكان الإمام مالك والزهري يقولان به، بل هو عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه إلى يومنا هذا. وإنما رجحوه لما فيه من السلامة من تعين معنى قد يكون غير مراد له تعالى، وهو الأوفق لحمل العامة عليه، صيانةً لعقولهم عن الرلل، كما فصله الإمام الغزالى في "إلجام العوام، عن علم الكلام". وقد وقفت على فصل للفخر الرازي في تفضيل هذا المذهب، ذكره في تفسير الكبير عند قوله تعالى: **﴿هُنَّمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾**، مع أن هذا الإمام من كبار الأشعرية القائلين بالتأويل.

ولله درُ الإمام خميس بن علي الواسطي حيث يقول:

لم يدعونه إلى الردي دعاة إلى سبل المكارم والهدى إذا قال قلدت النبي محمدا	ترك مقالات الكلام جميعها ولازمت أصحاب الحديث لأنهم وهل ترك الإنسان في الدررين غاية
--	--

على أن كثيراً من أممته الكلام أيضاً يرجحون مذهب الخلف في تأويتهم هذه الصفات تأويلاً يليق بجلال المولى عز وجل، لما في هذا المذهب من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم. ولكل من أصحاب المذهبين وجهه لا يريدون بها إلا الوصول إلى الحق، فرضي الله عنهم أجمعين، وجزاهم عننا أحسن الجزاء.

الثاني من الأقوال، قوله:

أما إلله فأمر لست مدركه فاحذر لجبيلك فوق الأرض إسخاطا

وليس في هذا أيضاً إنكاراً لوجود الله تعالى، وإنما فيه الإيماء إلى عجز البشر عن إدراك كُنهٍ ذاته تعالى. ولعمري ما نطق إلا بالصواب. وأين مخلوق ضعيف لا يصل إلى إدراك كُنهٍ نفسه من الوصول إلى هذا المقام؟ وفي كتاب تأييد الحقيقة العلية للسيوطى، قال شارح منازل السائرين في بيان عجز العقول عن إدراك الذات المقدّس، وترك الفكرة في ذلك: "يعرف العبد أن عقله يعجز عن إدراك كل الموجودات من المخلوقات فضلاً عن خالقها، وقد عجزت العقول عن إدراك الخاصية التي يجذب بها المغناطيسُ الحديد، والسمَّونيا الأخلاط الصفراوية، إلى غير ذلك، مع القطع بوجودها. فإذا عرف العبد عجزه، وأليس من الوقوف على غاية مطلبه، حمله ذلك على التمسك بحبل التعظيم والإجلال، وسلام بذلك من الوقوع في شيء من الاختلال" انتهى.

وفيما نقل عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه كان يقول : "التوحيد أن لا تتوهمه" ويقول: " كل ما أدركه فهو غيره" وكان الصديق رضي الله عنه يقول: "يا من غاية معرفته القصور عن معرفته" أما قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُ الْأَبْصَارُ﴾، فالآكثرون على حمل البصر هنا على الجارحة، من حيث إنها محل القوة. وقيل هو إشارة إلى ذلك وإلى الأوهام والأفهام. فالبيت على هذا عقد ممعنى هذه الآية الكريمة. و قريب منه قوله من قطعة أخرى:

وَإِنِّي إِلَهٌ مُّنْبَدِئٌ
وَرَبُّ الْوُهُودِ وَرَبُّ النَّبَكِ
فَمَا زَالَ يَضْعُفُ حَتَّىٰ ارْتَبَكَ

الثالث: قوله:

مَذَاهِبَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَرَضَنَهُ
مَتَىٰ عَرَضَ الْحِجَابَ ضَاقَتْ
وَمَعْنَاهُ ظَاهِرٌ بَيْنَ، يُشَبِّهُ مَا فِي الْقَوْلِ السَّابِقِ. وَقَدْ فَسَرَهُ بَعْضُهُمْ بِقَوْلِهِ: "أَيُّ لَا
يَزَالُ عَقْلُ الْإِنْسَانِ يَتَسْعَ مَجَاهِلُهُ فِي الْأَمْوَارِ، وَيَسْتَعْمِلُ أَنْوَاعَ الْقِيَاسِ؛ حَتَّىٰ يَنْتَهِي
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى".

فَإِذَا انتَهَى إِلَيْهِ ضَاقَتِ الْمَذَاهِبُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَعْلَمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهُ سَبَحَانَهُ
خَالِقَ الْمَخْلُوقَاتِ"انتهى.

وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو الْعَلَاءَ فِي قَوْلِهِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ:
وَقَدْ كَذَبَ الَّذِي يَغْدِوا بِعِقْلٍ لِتَصْحِيحِ الشُّرُوعِ وَقَدْ مَرْضَنَهُ
الشُّرُوعُ: جَمْعُ شَرْعٍ. قَالَ بَعْضُ الْفَضَلَاءِ: "مَرَضُ الشَّرَائِعِ أَنْ تَخْفِي أَسْبَابَهَا، فَلَا
يُوقَفُ عَلَى حَقَائِقِهَا، فَيُظَنُّ النَّاظِرُ فِيهَا أَنَّهَا فَاسِدَةٌ، وَإِنَّمَا الْفَاسِدُ عَقْلُهُ، لَأَنَّهُ
تَعَاطَى سُرًّا غَامِضًا لِيَقْفَ عَلَيْهِ" انتهى.

قَلْتَ: فَلِيَتَ الْمُتَبَجِحِينَ كُلَّ يَوْمٍ بِإِصْلَاحِ الدِّينِ الإِسْلَامِيِّ لِيَوَافِقُ
رُوحُ الْعَصْرِ كَمَا يَزَعُمُونَ، يَنْظُرُونَ نَظَرَةً فِي هَذَا الْبَيْتِ، نَسْأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَهُم
الْهَدَايَا.

وبعد، فليس في كلام أبي العلاء ما يُوهم نقصاً في حق الخالق سبحانه وتعالى، فضلاً عن إنكار وجوده، غير هذه الأقوال الثلاثة. وقد عرفت أنها ليست في شيء من ذلك أبأته. فلم يبق إلا أن نسرد لك عيون أقواله الدالة على حسن معتقده في خالقه. قال:

وكذلك المؤنثات إماء
قد والصبح والثرى والماء
— والأرض والضحى والسماء
بك في قول ذلك الحكماء
فلم يبقى في إلا الـزماء

للمليـك المـذـكرـات عـبـيد
فـالـهـلاـكـ الـمـنـيفـ وـالـبـدرـ وـالـفـرـ
وـالـثـرـيـ وـالـشـمـسـ وـالـنـارـ وـالـنـثـ
هـذـهـ كـلـهـ لـرـبـكـ مـاعـاـ
خـلـنـيـ يـاـ أـخـيـ أـسـتـغـفـرـ اللـهـ

وقال:

— هـ مـوـلـاـكـ فـقـلـ : آـرـاـ

إـذـاـ قـيـلـ لـكـ اـخـشـ اللـ

آـرـاـ: كـلـمـةـ فـارـسـيـةـ،ـ معـنـاـهـاـ:ـ نـعـمـ.ـ وـقـالـ:

فـلـسـتـ مـطـيقـاـ لـلـغـدوـ وـلـاـ الـمـسـرـىـ
لـهـ كـرـمـ تـكـرـمـ بـسـاحـتـهـ الـأـسـرـىـ
وـأـدـخـلـ نـارـاـ مـثـلـ قـيـصـرـ أوـ كـسـرـىـ
فـيـأـمـرـ بـيـ ذـاتـ الـيـمـينـ إـلـىـ الـيـسـرـىـ
فـمـاـ حـظـيـ الـأـدـنـىـ وـلـاـ يـدـيـ الـخـسـرـىـ

بـعـلـمـ إـلـهـيـ يـوـجـدـ الـضـعـفـ شـيـمـتـيـ
غـبـرـتـ أـسـيـراـ فـيـ يـدـيـهـ وـمـنـ يـكـنـ
أـصـبـحـ فـيـ الدـنـيـاـ كـمـاـ هـوـ عـامـ
وـإـنـيـ لـأـرـجـوـ مـنـهـ يـوـمـ تـجـاـوزـ
وـإـنـ أـعـفـ بـعـدـ الـمـوـتـ مـاـ يـرـبـيـنـيـ

اليسري هنا: من اليسير ضد العسر، وليس من اليسار ضد اليمين. وقال:

بـادـ وـكـلـ إـلـىـ طـبـعـ لـهـ جـذـبـ

الـلـهـ لـأـرـبـ فـيـهـ وـهـوـ مـحـجـبـ

وقال:

كذبا على رب السماء تكتسبا
تدعي لآدم صورة أو تحسبا من
من خلقه فكفى بذلك تنسبا

لا تكذبن فإن فعلت فلا تقل
فالله فرد قادر من قبل أن
وإذا انتسبت فقلت إني واحد

وفي معنى البيت الثاني قوله من قطعة أخرى:

ما زال ملك الله يظهر دائمًا
إذ آدم وأبواه في الإضمار
لعله أراد بأبيه: التراب الذي خلق منه، وفي بعض النسخ: وبنوه، وهو ظاهر.
وقال:

ولكن مولى المولى حبًا
 وإن جاء موته فقل مرحبا

وهم يحبنـي أحد نعمـة
نـصحتك فـاعمل لـه دـائـبـا

ومن طمعـه في عـفو رـبـه، قـولـه:

مرأـيـه الإـخـوان يـصـدق ويـكـذـبـ
وقد عـشـت عـيشـ المستـضـامـ المعـذـبـ

أـرـى اللـبـ مـرـأـةـ الـبـيـبـ وـمـنـ يـكـنـ
أـخـشـيـ عـذـابـ اللـهـ وـالـلـهـ عـادـلـ

ومـثـلـهـ قـولـهـ:

عـلـىـ ماـ كـانـ مـنـ عـمـدـ وـسـهـوـ

وـمـاـ أـنـاـ يـائـسـ مـنـ عـفـوـ رـبـيـ

وـمـثـلـهـ قـولـهـ أـيـضـاـ:

عـلـ وـالـسـؤـالـ يـطـلـبـ فـيـ السـحـابـ الأـسـوـلـ

لـمـ لـأـوـمـلـ رـحـمـةـ مـنـ قـادـرـ

وقال يذكر خوفه من العقاب:

ظلماً فليت أباها الفظ موءود
مزود إن قلبي منك مزءود

طوبى ملوءة في حال مولدها
يا رب هل أنا بالغفران في ظعنى

وقریب منه قوله:

فَكُلْ مَا لَاقْتَ هَذِهِ سَهْلٌ
إِذَا انْقَضَ الْمَهْرَبَ إِلَيْهِ

قد فني الوقت فما حيلتني
إن ختم الله بغرانٍ

وقال في خوفه وطمئنه:

بادوكل إلى طبع له جذبا
وكل أزهر في الظلماء خراج

أما الحياة فلا أرجو نوافلها
رب السماء رب الشمس طالعة

وَاللَّهُ دِرْهَمٌ حِيثُ يَقُولُ:

إن ظنوني بخالي حسنة
ولو أقمت في النار ألف سنة

ليفعل الدهر ما يهم به
لا تتأس النفس من تفضله

وقال:

أغنى من الأسرة الكفالة
ولست من معيش نفافة

أرى انكفاـتـي إـلـى الـمنـاـيـا
أشـتـتـ إـلـى خـالـقـا حـكـيـما

وقال:

در طفا من فوق بحر مائج
هذى الكوكب عند أدنى ثائج
ليكون زينًا للأمير التائج

سبحان من برأ النجوم كأنها
لو شاء ربك صير الشرطين من
والنار تقوى الله لا ما رصعوا

وقال من أخرى:

فَزِعُوا إِلَى ذِكْرِ الْمَلِيكِ وَحَسْبِهِمْ
أَنْسَا بِذَلِكَ فِي الضَّمِيرِ الْوَالِجِ

وقال:

أَحَادِرُ السَّيْلِ وَمَنْ لِي بِهِنْدِ
وَالْوَقْتُ لَا يَفْتَأِي مَرَهٌ
فَرَاقِبُ الْخَالِقِ بِالْغَيْبِ فِي الْ

أراد الهيئة من القيام والنوم والقعود، فجاء بها على فعلة بكسر الأول. وهو عقد
معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾. ومعنى
الآية، والله أعلم: الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامته أوقاتهم، كما ذهب إليه
بعض المفسرين.

وقال أبو العلاء:

إِذَا كُنْتَ مِنْ فَرْطِ السَّفَاهِ مَعْطَلًا
أَخَافُ مِنَ اللَّهِ الْعِقْوَبَةَ آجَلًا
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْحَدِينَ تَعُودُهُمْ
فِيَا جَاحِدَ اشْهَدُ أَنِّي غَيْرُ جَاحِدٍ
وَوَارِعُمْ أَنَّ الْأَمْرَ فِي يَدِ وَاحِدٍ
نَدَامَتْهُمْ عَنْدَ الْأَكْفَافِ الْوَاحِدِ

ليت شعري كيف يُرمى بالإلحاد من يخاطب الملحدين بمثل هذا الكلام؟
وفيهم يقول أيضاً:

أَمَا الْمُجَاوِرُ فَارْعَهُ وَتُوقَهُ
لِيسُ الَّذِي جَحَدَ الْمَلِيكَ وَقَدْ بَدَتْ
وَاسْتَعْفَ رِبَكَ مِنْ جَوَارِ الْمُلْحَدِ
آيَاتِهِ بِأَخْ لَمَنْ لَمْ يَجْحَدْ

ويقول:

فـقـابـلـهـا بـتـوـحـيـدـ الـسـيـوـفـ
كـثـيـرـاتـ الـبـهـارـجـ وـالـزـيـوـفـ
نـلـمـ بـهـا كـإـلـمـامـ الـضـيـوـفـ

إـذـا مـا أـلـحـدـتـ أـمـمـ بـجـهـلـ
كـأـنـاـ فـيـ سـجـاـيـاـ نـقـودـ
وـهـنـذـيـ الـأـرـضـ الـمـرـجـىـ

وقال:

تـبـدـلـ بـعـدـ الـقـصـرـ ضـيقـ لـحـدـ
وـلـأـلـقـىـ بـدـائـعـهـ بـجـهـدـ

تـعـالـىـ اللـهـ كـمـ مـلـكـ مـهـيـبـ
أـقـرـبـأـنـ لـيـ رـبـاـقـدـيـرـاـ

وقال:

فـذـرـنـيـ أـقـطـعـ الـأـيـامـ وـحـدـيـ
فـمـاـ أـفـيـتـ إـلـاـ حـرـفـ جـهـدـ
فـفـيـ أـيـ الـبـلـادـ يـكـونـ لـحـدـيـ

بـواـحدـانـيـةـ الـعـلـامـ دـنـاـ
سـأـلـتـ عـنـ الـحـقـائـقـ كـلـ قـوـمـ
سـوـىـ أـنـيـ أـزـوـلـ بـغـيـرـ شـكـ

وقال:

فـاصـرـفـ وـلـاءـكـ لـلـقـدـيمـ الـمـوـجـدـ

وـلـقـدـ وـجـدـتـ وـلـاءـ قـوـمـ سـبـةـ

وقال:

وـعـبـدـ الـعـزيـزـ وـعـبـدـ الصـمدـ
عـبـيـداـ وـذـلـكـ أـقـصـىـ الـأـمـدـ
نـذـأـبـ أـجـزـائـهـ وـالـجـمـدـ
تـدـرـسـ مـغـيـبـهـ وـالـعـمـدـ

يـسـمـونـ بـالـجـهـلـ عـبـدـ الرـحـيمـ
وـمـاـ بـلـغـواـ أـنـ يـكـونـواـ لـهـ
وـلـكـنـهـ خـالـقـ الـعـالـمـيـ
تـعـمـدـهـ يـغـنـكـ بـالـهـدـىـ أـنـ

المُغْنِي، والْعَمَد: كتابان أحدهما في علم الكلام، والآخر في الأصول، وهما للقاضي عبد الجبار بن أَحْمَد، من كبار أئمَّة المعتزلة، المتوفى سنة خمس عشرة أو ست عشرة وأربعين مائة. ولأبي محمد عبد الله بن العباسي الرامهُرْمزي المعتزلي كتاب اسمه المغني أيضًا، إلا أن ذكره مقصود بالعمد يدل على أن المراد الأول.
وقال أبو العلاء:

وكم غيرتنا بأمر خط حادثة وربنا الله لم تلمن به الغدير

وقال:

ما زال ربك ثابتا في ملكه ينمى إليه للعباد جؤار

وقال:

نفسي ويبقى الواحد القهار والجهل أغلب غير علم أننا

وقال في الإقرار بالذنب من قطعة:

ما ليس ممحونة إلى استغفار غفران ربك قل ما فعل الفتى

صدق والله، فغفرانك اللهم. وقال:

بالشام توطن أو تحل حجازا رجزت بتسبيح المليك حمامة

وترى بها الشعرا و الرجال زا والطير مثل الإنس تعرف ربها

وقال في معناه:

سبّح الله ناعب صوته:غا ق، وكدرية تصبح: قطا

وقال:

وعزتها إلى القدير العوازي
ر لديه في صورة الجلواز
س حتى سطاع على أبرواز

صنعة عزت الأئم بلطاف
ملك أنشا السموات فالبد
كم له كوكب أبر وأز النَّ

وقال:

يسير أمره جبلاً ويمرسي
فما بلقيس أم ماسة برس

لأرب وليس له نظير
تظل الشمس ماهنة لديه

وقال:

فسلم إليه الأمر في اللفظ واللحظ
تخطيك إحسان الغائم أو تحظى

إذا كنت بالله المهيمن واثقا
يُدبرك خلاق مقدارا

وقال:

وقد دنوت فحق الخوف والهلع
في قدرة بعضها الأفلاك يتبع

وسرت عمري إلى قبري على مهل
ما نحن أمة ما برأنا عالم كثُر

وقال:

رشاد فصلوا الوتر في الدهر والشفعا

ندين بأن الله وتر وخوفه

وقال:

أن يدعونها وهم في الدار أضياف
نبل حطام وأرماح وأسياف

الأرض لله ما اسحبي الحلول بها
تنازعوا في عواري فييـنـهم

إن خالفوك ولم يجزر خلافهم شرا فلا بأس إن الناس أخيف
أخياف: أي مختلفون، ومنه: إخوة أخياف، إذا كانت أحدهم واحدة وآباؤهم شتى؛
فإذا كانوا لأب واحد من أمهات شتى، قيل: هم أبناء علات.
وقال في معنى ما تقدم:

على ما ترى من قبل أن تجري الفلك هو الفلك الدوار أجراء ربه
فيما جهل إنسان يقول: لي الملك له العز لم يشركه في الملك غيره
ومثله قوله:

ويقول داري من يقول وأعبدني مه فالعبد لربنا والدار
وقوله أيضًا:

واملك الله من يظفر بنيل غنى يردد قسرا وتضمن نفسه الدركا
لو كان لي أو لغيري قدر أملة من التراب لكان الأمر مشتركا

ذكر الإسحاقى في تاريخه أن السلطان سليمان العثمانى لما فتح مصر نزل
بالروضة في مكان أعد له بالمقاييس، ونقل عن القطبى أنه رأى هذين البيتين
مكتوبين بخطه بأعلى المقاييس على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تقاد تظهر
إلا بالتأمل، ومرقوم تحتهما: كتبه الفقير سليم. ثم قال: ولعمري إن كان
هذان البيتان من نظم المرحوم فهما في غاية البيان والبراعة، ونهاية في الشعر
العربي الفصيح المنسجم؛ وإن كان تمثل بهما فهما أيضًا مرتبة عالية
في حسن التمثيل ولطف الاستحضار. انتهى. قلت: أما كونهما له فقد ثبت

خلافه؛ فلم يبق إلا أنه تمثل بهما. وما هو بكثير على فضل هذا السلطان واطلاعه. وسلطان آل عثمان، وإن اشتهر عنهم قلة الاهتمام باللغة العربية، فقد نبغ منهم جماعة فيها. منهم: السلطان محمد الفاتح؛ وفضله في الاشتغال بالعربية غير منكور. ومن شيوخه المولى خواجة زاده، قرأ عليه متن عز الدين الزنجاني في التصريف؛ وكانت العلماء تجتمع عنده للمناظرة، وتعجبه مباحثاتهم. ويحكي أنه كان في صغره غير مهتم بالطبع، فأمر والده السلطان مراد المولى شمس الدين الكوراني بالتشديد عليه، فتصدع بأمره، حتى ضربه مرة ضرباً مُوجِعاً، ولم يزل به حتى ختم القرآن الكريم في مدة يسيرة. ومنهم: السلطان مراد الثالث ابن سليم المتوفى سنة ١٠٠٣، كان أجمل أهل بيته علمًا وأدبًا وذكاءً وفهمًا. اشتغل بالتصوف وبرع فيه، ونظم الشعر باللغات الثلاث: الفارسية والتركية والعربية. ومنهم: السلطان أحمد بن محمد حفيظ السلطان مراد الماز ذكره. كان من فضلاء وقته، مال للأدب والمحاضرات، ونظم الشعر بالتركية. ومما يروى له من الشعر العربي قوله:

جرح الفؤاد بصارمي لحظي
إلا تهتكست الستور عليه
ويخصنا بالغنج من جفني
ريحاننا والورد من خدي
إنب أغمار من النسيم عليه
ويجور سلطان الغرام عليه
لعبدته وسجدت بين يديه
ظبي يصول ولا وصول له
ما قام معتدلا وهز قوامه
يسقي المدامنة من سلافة ريقه
عيناه نرجستنا وآس عذرهاه
يا شعر في بصرى ولا في خده
عجبني لسلطان يعز بعلمه
لولا أخاف الله ثم جحيمه

والبيتان الأخيران من قصيدة لابن رزيك الشيعي، أتى بهما السلطان على
سبيل التضمين.

رجُع إلى شعر أبي العلاء.

فمن دلائل إيمانه بالله، وتفويضه الأمر إليه، قوله:

رددت إلى مليك الخلق أمري
فلم أسأل متى يقع الكسوف
وعوجل بالحمام الفيلسوف

فكم سلم الجهول من المانيا

وقال:

والروح طائر محبس في سجنه
حتى يمن رداه بالإطلاق
سيموت محمود ويهلك آلك

وقال:

أزول وليس في الخلاق سك
فلا تبكيوا علي ولا تبكوا
خذ واسيري فهن لكم صلاح

وقال:

تسمت رجال بمالوك سفاهة
ولا ملك إلا للذي خلق الملوك
أرى فلك ما دار إلا لحكمة

وقال:

إن يرسل النفس في الذات صاحبها
فما يخلدن صعلوكا ولا ملكا
ومن يطهر بخوف الله مهجهة

وقال:

فاجز الذي هو أبداني وإياك
تحصي خطاك فهل تحصي خطاياك

شفاء ما بك أعياني وأعياكا
ما لي أراك غيبا لست تقدر أن

وقال:

معولي في كل حالٍ عليك
ييقى له ملأك فيدعى ملائك
فقلت: مهلاً، ليس هذا إليك
شاء ومضي فاجري عاذليك
والفلوك الأعظم فيه فالليك

يَا خَالِقَ الْبَدْرِ وَشَمْسِ الظُّهْرِ
وَكُلِّ مَلَكٍ لَكَ عَبْدٌ وَمَا
قَدْ رَأَمْتَ النَّفْسَ لَهَا مَوْلًَا
إِنَّ الَّذِي صَاغَكَ يَقْضِي بِمَا
بِالْبَحْرِ فِي قَدْرَتِهِ نَغْبَةً

وقال:

لنا الفقر دونك وأملك لك

إله الأنعام ورب الغمام

وقال:

ورج الغنى من ربك المتعال

فلا تسال أمرء الغنى عطاءه

وقال:

بقدرة من مليك غير منتقل

أَمَا تَرَى الشَّهْبُ فِي أَفْلَاكِهَا انتَقَلَتْ

وقال:

ویقی من تفرد بالکمال

نحوت لأننا حلفاء نقص

وقال:

متفـرد فـي عـزـه بـكـمال

حکم تدل علی حکیم قادر

وقال:

يَقِينٌ أَمْوَارٌ بَاتٌ يَتَبعُهَا الْوَهْم
أَقْرَبَهُ فَسْلٌ مِنَ الْقَوْمِ أَوْ شَهْمٌ

فَيُفْرِي وَقْدَ يَنْهَى الْحَسَامَ فِي كُلِّهِمْ

فَيُفْرِي إِذَا قُضِيَ مَالِكُ الْأَفْلَاكِ أَنْضَانِي
بَحْرُ الرَّدِيِّ مِنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ حَوْضَانِ
وَإِنْ مَضَيْتُ فَأَمْرُ اللَّهِ أَمْضَانِي

بَلْ كُلُّهُمْ مُقْتَرٌ عَدِيمٌ
وَذَلِكَ الْواحِدُ الْقَدِيمُ

وَلَا رِيبٌ فِي عَدْلِ الَّذِي خَلَقَ الظُّلْمَاءِ

شَهِيدٌ بِأَنَّ الْخَلْقَ صَنْعٌ حَكِيمٌ

تَسْمَعُ غَيْرُ هَائِبَةِ الرَّجُومِ

تَوْهِمُ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهُمَا فَأَصْلَوَا^{جَهَنَّمَ}، وَلَكِنَّ لِلخَلَقِ صَانِعٌ

وَقَالَ فِي ردِ تَأْثِيرِ الأَشْيَاءِ اللَّهُ تَعَالَى:

وَقَدْ يَأْمُرُ اللَّهُ الْكَهَامَ إِذَا نَبَّا

وَزَادَ هَذَا الْمَعْنَى وَضُوحاً بِقُولِهِ وَأَجَادَ:

وَقَ وَلَوْ يَنْطَقُ السِّيفُ نَادِي لِيْسَ لِيْ عَمَلٌ
مَتَى أَرَادَ فَصَفَحَاهِي الْلَّذَانِ هَمَّا
وَإِنْ كَهَمْتَ فَأَمْرُ اللَّهِ أَكْهَمْنِي

وَقَالَ:

مَا فِي بَنَىٰي آدَمُ غَنِيٌّ
يَغْنِي الَّذِي مَالَهُ فَنَاءٌ

وَقَالَ:

رَأَيْتَ سَجَایَا النَّاسِ فِيهَا تَظَاهِمٌ

وَقَالَ:

فَسَادٌ وَكَوْنٌ حَادِثَانِ كَلَاهُمَا

وَقَالَ:

أَبَالْقَدْرِ الْمُتَاحِ تَدِينِ جَنَّ

فَمَا تَخْشَى الْمُنِيَّةُ فِي الْهَجَومِ
فَنَهْبَهُ فَيُضَادُعُكَ السُّجُومُ
وَأَنْتَ تَبْقَى الْسَّمَاءَ بِلَا نَجَومَ
وَأَضْحَكَ بَعْدَ إِفْرَاطِ الْوَجُومِ

وتعلم أن مالم يقض صعب
بإذن الله يتفذ كل أمر
يجوز بحكمه موت الثريا
وكم وجم الفتى من بعد ضحك

وقال:

ت مولى المولى ورب الأمم
ولكن لنفسي عقدت الذم
على ما بعرينيه من شرم
إذا حبست أعظمي في الررم

إذا مدحوا آدميَا مدحـ
وذاك الغنـي عن المـادـحين
لـه سـجد الشـامـخ المـشـخـر
ومـغـفـرة اللـهـ مـرجـوة

وقال:

قیح المساعی حین یظلم دائم

أدين برب واحد وتجنب

169

فِعْلَةٌ خَامِلَيْنَ شَوَّا فِي الْبَرِّ وَسَيْنَةٌ أَمْلَيْنَ لَمْهُ وَسَيْنَةٌ

إذا ما شئتم دعاء وخفضا
ولابعد لكم أمل بخلق

وقال:

بودي ولكن المهيمن أسطاني
ولا حارمي شيئاً إذا هو أعطاني

مطيري الوقت الذي ما امتنع
وما أحد معطى والله حارمي

وقال:

إِلَهُكَ تَرْحِيمٌ وَفَضْلُهُ وَأَلَاهٌ

لعمري لآخر الذخر في كل شدة

ولا ملك إلا للذي عز وجهه

وقال:

وفاز بِحَنْدِسٍ متهجداً
فلا يفخر بشيء موجداً
بني أعلى القصور منجداً
أنابوا للملك ومجداً

تجهد معاشر ليلاً وفمنا
إلهك أوجد الأشياء جمعاً
وربك أنجد الأقوام حتى
فمجده فلم يخسر أنساً

ولنختم هذا الفصل بقوله:

وربك لم يسمع له بشبيه

تشابهت الأشياء طبعاً وصورة

هذه أقوال من يتهمه المتخرصون بإنكار الإله، سقناها إليك لتكرر النظر فيها
المرة بعد المرة، ثم نكلك إلى محاسبة نفسك، ومحاكمة فكرك؛ هل ترى فيها غير
التوحيد والتنزيه، وإجلال اسمه تعالى، والطمع في رحمته، والخوف من عقابه،
والحضور على التقوى، والإنكار على الملحدين؟ ولا نخالك بعد ذلك إلا مُنْصَفَةً، إن
كنت من المخلصين.

معتقده في النبوات والرسل

يَتَّهِمُ الْكَثِيرُونَ أَبَا الْعَلَاءَ بِجُحْدِ النَّبُوَاتِ، وَعَدْمِ الإِيمَانِ بِالْبَعْثِ
وَالنَّشْوَرِ؛ وَكَثِيرًا مَا يَتَعَمَّدُونَ تَحْرِيفَ كَلِمَةٍ، أَوْ صَرْفَ ظَاهِرَهُ إِلَى
غَيْرِ مَرَادِهِ، افْتِيَّاً عَلَيْهِ، وَانتِصَارًا لِمُدَعَّاهُمْ.

فَضْلًا عَمَّا وَضَعُوهُ عَلَى لِسَانِهِ مِنَ الْكَذْبِ وَالْبَهْتَانِ، كَمَا أَثْبَتَهُ نَقْلَةُ
أَخْبَارِهِ. وَقَدْ مَرَّ بِكَ حَدِيثُهُ مَعَ الْقَاضِيِّ الْمَنَازِيِّ، وَكَيْفَ اقْتَضَبَهُ الرِّوَاةُ لِيَثْبِتُوا
إِلَحَادَهُ وَإِنْكَارَهُ لِلآخرَةِ. وَنَقْلُ يَاقُوتِ وَالسُّلْوَيِّ عَنِ الْقَاضِيِّ أَبِي يَوسُفِ عَبْدِ السَّلَامِ
الْقَزوِينِيِّ أَنَّهُ قَالَ: "قَالَ لِي الْمَعْرِيُّ: لَمْ أَهْجَ أَحَدًا قَطُّ. فَقَلَّتْ: صَدِقتُ، إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ
عَلَيْهِمُ السَّلَامُ! فَتَغَيَّرَ لُونُهُ، أَوْ قَالَ: وَجْهِهِ.. أَهُّ" وَلَا أَدْرِي مَاذَا يَبْثِثُهُ هَذَا الْحَدِيثُ
أَوْ يَنْفِيهُ.

وَإِلَيْكَ مَا ذَكَرَهُ الْعَالَمُ أَبْنُ الْوَرْدِيِّ فِي تَتمَّةِ الْمُختَصِّرِ، وَهُوَ مِنْ أَدْقِ
الْبَاحِثِينَ فِي أَمْرِهِ. قَالَ: "قَالَ لِي يَوْمًا بَعْضُ أَصْحَابِيِّ مِنَ الْأَمْرَاءِ ذُوِّيِّ الْفَهْمِ: كَيْفَ
كَانَ أَبُو الْعَلَاءَ فِي اعْتِقَادِ الْبَعْثِ؟ فَأَنْشَدَتْهُ قَوْلَهُ:

فِيَا وَطْنِي إِنْ فَاتَنِي مِنْكَ سَابِقٌ مِنَ الدَّهْرِ فَلِيَنْعِمْ لِسَاكِنِكَ الْبَالِ
وَإِنْ أَسْتَطِعُ فِي الْحَسْرِ آتِكَ زَائِرًا وَهِيَهَا، لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالٌ

وبلغني أن بعضهم زعم أن أبا العلاء كان ينكر النبوة، فهذا مردود
بقول أبي العلاء:

عجبت وقد جزت الصراة رفلة
وأعملت إلينا فعال ابن مريم
وقوله في شريف:

وقال في الشريف أبي إبراهيم العلوى الموسوى:
عن فضله نطق الكتاب وبشرت
يا ابن الذى بلسانه وبيانه
هدى الأنعام ونزل التنزيل
بقدومه التوراة والإنجيل

أيديف معجزات الرسل قوم وفيك وفي بيديهتك اعتبار
انتهى كلام ابن الوردي. وما ذكره من الشعر منقول من سقط الزند.

ولقائل أن يقول: ما لكم تنتصرون للرجل بكلامه في سقط الزند، وهو لم يقصد به بياناً مذهبة، أو شرحاً لمعتقده، بل جرى فيه مجرى الشعراء في أفنانينهم الشعرية، وأخرجه مخرج هيامهم في كل وادٍ من القول وضربٍ من الخيال؛ وهم كما تعلمون يُجْزَوُن الكذب، ويقولون ما لا يفعلون؛ فشأنه في ذلك شأنهم دعواه دعواهم؛ فإذا مدح شريفاً لم يكن له بُدُّ من تقدير آبائه، والإقرار بجدتهم صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة، تعظيمًا لشأن الممدوح؛ كما لا مندوحة له في الرثاء عن وصف ما لقيه المرثي من التكريم في جنات النعيم، ليكون قوله مقبولاً لدى من يخاطبهم، وأدعى للحظوة عندهم، وإن لم يكن هو معتقداً له. وما يقال في هذا يقال في غيره، وإلا للزمكم أنه كان على غير ما تَدَعُون له من الرزهد والتقوى، لما أثبتته في هذا الديوان من الغزل والتشبيب وبكاء الشباب والفخر، وهي والزهد على طرفي نقىض. فلو اقتصرتم على ما في لزوم ما لا يلزم ونحوه من الكتب التي وضعها لبيان فلسفته وأرائه، لسلمتم من مثل هذا النقد.

ونقول في رد ذلك: ربما كان لما ذكرت وجه من الصحة، إلا أنها لما رأيناكم آخذتم الرجل على بعض ما جاء في هذا الديوان، واستدرجتم به إلى الطعن في عقيدته، مع أنه لا يخرج عن الغلو المألوف للشعراء كما بيناه آنفًا استجَرْنا أيضًا أن نحتجكم بما جاء فيه من صريح ذكر الحشر، والإيمان بالرسل وإثبات المعجزات لهم عليهم السلام.

وشتان ما بين حجتينا. على أن ما ادعيموه لا يصح الحكم به على مطلق
شعر يقوله الشاعر، وإلا فالويل للشعر والشعراء بعدهنَّ.

وبعد، فإننا لم نحكم لأبي العلاء بصحة إيمانه بالرسل والنبوات إلا من أقواله المثبتة لذلك، المصرحة به. فلا ريب في أن ما يوهم في ظاهره نقايضها من أقواله الأخرى، مؤول بما يحتمله لفظه؛ وكثير منها لم يرد به الطعن على الأديان نفسها، بل أراد أهلها ومنتظليها، لتفريطهم فيها أو إفراطهم، كما صرّح به في أقوال أخرى، سأتي عليها في هذا الفصل.

وقد رأيت بعض المتعصبين عليه يظفر بالبيت الموهم، فيرويه فدًا من غير نظر لما قبله أو بعده. ولو تدبر ذلك لظهر له مراده، ولم يجد سبيلاً للطعن عليه.

على أنا مع هذا لا نُبَرِّئه رحمة الله من بعض سقطات زل بها لسانه، ليس فيها جحد للنبوات، ولكن ذكرها لا يخلو من شناعة. فكان الأولى له التفادى عن نظمها في هذا الس茅ط. ولا مشاحة في عذر من أنكر عليه فيها، وإنما كلامنا فيمن يرميه بالإلحاد، وهو براء منه، بدليل ما ذكرناه من كلامه وما سنذكره.

أما من استدل على إنكاره النبوات، وتحكمه العقل في التحسين والتقييح،
بقوله:

علم الكائنات في كل وجه
خالق النيرات ما يتغابي الـ^ـ
أيها الغر إن خصمت بعقل نبي
فقد أخطأ المرمي، ونكب عن سبيل القصد، فإن مراده بقوله "فكل عقل
نبي" أن العقل كافٍ في الإخبار والدلالة على وجود صانع لهذه

الكائنات، ولا عذر للعبد في جهله بخالقه، ما دام له عقل ينظر به ويستخبره، كما يدل عليه سياق الآيات عند التأمل.

وهذه المسألة من المسائل التي قام فيها الخلاف بين أئمة الكلام، وانقسم فيها أهل السنة إلى قسمين. فذهب جمهور الماتريدية وعامة مشايخ سمرقند إلى أنه تعالى لو لم يبعث للناس رسولًا لوجب عليهم بعقولهم معرفة وجوده تعالى ووحدته واتصافه بما يليق به من الحياة والعلم والقدرة وغيرها، وكونه محدثاً للعام؛ وهو أيضاً أرجح قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. وذهب جمهور مشايخ الأشاعرة إلى أنه لا يجب إيمان ولا يحرم كفر قبل بعث الرسل. ولا يرد على الأول أنه لو كان العقل حجة كافية ما أرسل الله الرسل، ولاكتفى به؛ لأنَّه يقال في جوابه: لما كان أمر البعث والجزاء مما يشكل على العقل وحده، إلا بعظيم تأمل فيه، وكذلك أنواع العبادات والحدود ونحوها لا تزال.

بمجرد العقل كان إرسال الله تعالى رسleه وإنزال كتبه، لبيان ذلك. وأصل الخلاف إنما هو في الإيمان بالله، لا في أحكام الشرائع. فإن قيل لو كان العقل كافياً في ذلك لاقتصرت الشرائع على بيان ما ذكرتم، ولم تتعرض لأحكام الإيمان بالله تعالى وتتنزيهه، واتصافاته بصفاته الائقة ونحوها، اكتفاء بدلالة العقل عليها. قلنا: كان ذلك لزيادة التمكين وتممة البيان، من قبيل توارد الأدلة وتعاقبها. فإنه تعالى لم يدعنا والبيان بأية واحدة بل مَنْ علينا سبحانه بآيات متكررة، وكذلك لم يدعنا ورسولاً واحداً من أول الأمر إلى آخره، والحججة كانت قائمة بالواحد، كما بقيت بنبينا صلى الله

عليه وسلم إلى القيامة؛ فلا يدل ذلك على أن الرسول الواحد أو الآية الواحدة لم يكونا حجة كافية.

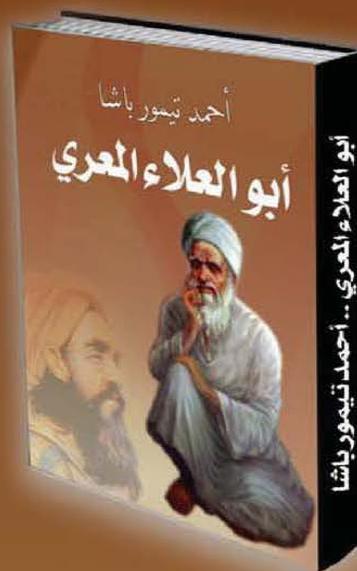
هذا محصل ما ذكروه في هذا المقام، ولكل من الفريقين أدلة من الكتاب والسنة يحتاج بها مذهبها، فاطلبها إن شئت في كتب الكلام، خصوصاً فيما ألف منها في الخلاف بين الماتريدية والأشعرية؛ وانظرها أيضاً في كتب التفسير عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾.



المحتويات

5	مقدمة
15	نسبه
21	في بيته
25	مولده ووفاته وحليته
33	نشأته وطلبه العلم ورحلته
37	لاميذه
41	علمه وذكاؤه
85	مؤلفاته
107	ثرؤته وزهده
115	في أخباره
129	شعره
131	المُكرر في معانيه
137	سرقاته
153	ماخذ الشعراء من شعره
159	مقارنة بعض معاني بمعاني غيره
163	معتقده
165	الاختلاف والجدل حوله
181	معتقده في الله
201	معتقده في النبوات والرسل

أبو العلاء المعري ..
أحمد بن سبور باشا



في هذا الكتاب يحلل لنا أحمد بن سبور باشا حياة الشاعر الشهير أبي العلاء المعري، وبرىء أن القبيحة الحقيقية في حياة هذا الشاعر، فذرنه على تحدى وافعه وعاهنه التي لازمه طول حياته، فقدر كانت قضية المعري أنه رفض وافعه ولم يألف الناس حوله، وشعر بالسخط والغفوة على أهل الفساد والنفاق، واعتزل الناس وعاش وحيداً، وأضاف إلى معاناته عذاباً آخر.

والسمة الغالية على هذا الكتاب هو التحليل الذكي لحياة المعري، بحيث إن المؤلف اجتهد كثيراً في تسجيل كل التفاصيل الصغيرة، والعادات والمعتقدات التي عاش فيها الشاعر، وشغل الناس والمقلدين والنفاذ بالأراء الغربية، والقصائد الخزينة التي يغلب عليها النشاؤم، وزهرة الغريب وبعض من الكلمة والرثاء.

وبعد هذا الكتاب ترورة عن المرأة العربي في نقد الشعر ونماجم الشعراء، لا يمكن للمنتف - في أيامنا أن يغفل قراءته أو دراسته من بين مؤلفات أحمد بن سبور باشا.